الفصل الخامس

الحروب غير النظامية والصراعات المتأصلة

أساطير محلية وعالمية

تطورت الحروب من استخدام القوة الجسدية والأسلحة البدائية (الجيل الأول)، وقوة النيران والأسلحة الأكثر تطور (الجيل الثانى)، والحروب الخداعية بما فيها الحروب بالوكالة (الجيل الثالث)، ثم إلى حروب الجيل الرابع والتى تفترض اتخاذ أشكال غير تقليدية من فاعلين من غير الدول (تنظيمات وحركات إرهابية ومدنية) لإحداث فوضى داخلية اواقليمية. وبصرف النظر عن صناعة المخابرات الأمريكية بالتعاون مع عسكريين أمريكيين للتعامل مع الجماعات الإرهابية التى تعرضت لأهداف أمريكية مع نهاية الثمانينيات (بعد الانتفاضة الأولى فى فلسطين) وخلال التسعينيات، فبدلا من الاعتراف بتغيير طريقة المهاجم فشلت أجهزة المخبارات فى التوقع بهذه الهجمات وحدوثها وتم الترويج لحروب الجيل الرابع لحفظ ماء الوجه وتبرير القصور والفشل. انه محاولة لتوريط أكاديميين ومثقفين فى الدفاع عن الفشل العسكرى بالترويج لنظرية المؤامرة بدلا من قيام المثقفين بأدوارهم التقليدية بالبحث والاستقصاء والتحليل، والادهي ان النظرية فى هذا ادعت أن هجمات جديدة من هذا القبيل سوف تتكرر في المستقبل لتبرير أى فشل مستقبلى فى توقع مثل هذه الهجمات بدعوى أن الافتراض الرئيسى للنظرية أن (الإرهابيين سيوجهون لنا ضربات مستقبلية غير تقليدية) دون بذل جهد حقيقى لتحديد متى ستقع مثل هذه الهجمات وما وسائل مواجهتها؟. ما نقوم به اذا ترجمة خاطئة تتحدث عن تخوف من تطور قوى الخصوم بشكل غير تقليدى يخرج عن سيطرة المواجهة فتتعرض القوى الوطنية للهزيمة، وهذا على افتراض أن تحقيق النصر العسكرى لا يكون فقط بالصراع المسلح، بل وايضا ببناء نظريات لتقييم الاحتمالات المختلفة لإستراتيجيات الخصم.

فهم خاطئ لصلح ويستفاليا الذى أسس الدولة القومية فى أوروبا، حيث تفترض النظرية أن صلح ويستفاليا أسس لاحتكار الدولة وسيطرتها على كل أدوات العنف، بينما الصلح في الأساس اعتمد على إنهاء رابطة الدين كأساس للإمبراطوريات ووضع بدلا منها أسس قومية تقوم على روابط أخرى كالتجاور الجغرافى واللغة والعرق.. إلخ.

ما يتم ترديده اعتبره تبرير للفشل المخابراتى والعسكرى وتعبير عن عدم الاعتراف بحقيقة تطور الفاعلين من غير الدول وضعف قدرة الدولة على احتكار وسائل العنف التقليدية وغير التقليدية أمام عالم تزيد فيه القوة الشعبية وشبكات علاقات بين فاعلين قادرة على تخطى الحدود التقليدية.

وبدلا التسلية بنظرية المؤامرة الزائدة ثمة أمرا واقعا جديدا على الدولة القومية الاعتراف به والبحث عن وسائل غير تقليدية لمواجهته.فالقادم أضرار جسيمة على الأمن القومى

خاصة لو تبنى الأكاديميين والمثقفين للأفكار التآمرية بديلا عن الفكر التحليلى النقدى والإبداعي.

نظرية المؤامرة سحبت من سياقها الأصلى كنظرية عسكرية أمريكية تبرر فشل مواجهة الحركات الإرهابية غير التقليدية في بدايات إلى سياق استخدام هذه الجماعات ذاتها لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية..الخ. وللأسف من أجل إيذاء الآخر صديق أو خصم. أي أننا في حل المشكلة بمشكلة حيث استخدام الجماعات ضد السوفيت ثم استخدامها لإسقاط دولها غير مدركين أنها ستتوجه لخصمها الحقيقي، أو تقوم دول أخري بصنع جماعات أخري مثيلة لمواجهة هذه الجماعات الأولي.

النظرية لم يروج لها خبراؤنا الاستراتيجيون فقط، ولكن تم تبنيها بواسطة جيش من المثقفين والسياسيين والإعلاميين بفهم لقلة وبدون فهم أو وعى بأبعادها لأكثرية، بل وحتى دون محاولة جادة للنظر فى أوجه قصورها وأساطيرها ونقدها. فأنا أعيش في منطقة عربية الكل حولي يردد أن الغرب وأمريكا يريدون تقسيمنا والهيمنة على ثرواتنا، لكن لماذا لا نخطط نحن لمواجهتم وهزيمتهم وضحدهم؟ لماذا لا نخطط للحصول على كل العلوم والتكنولوجيا الحديثة بأموالنا؟ أليس من الأمر المنطقي أن كل دولة تخطط لمصالحها؟ تماما في تاريخنا العاشق الولهان يموت على قبر محبوبته بكاء أو مرض الخ. دون أن يفكر ويعمل حتى لا يفوز بها غيره، إن غيره أحق بها إذا حتى لو كان الموت.عليه أن يشكره لأنه لو تزوجها لكشفت حقيقته وكرهته.

الثورات في أغلبها ومن أجل إشعالها لابد من حقوق مهدرة وقوانين معطلة وشبابا مقموع وطبقات فقيرة ومؤسسات فاسدة وشبكات سياسية غير شفافة وجماعات مصالح تدير الدولة، وحل ذلك كله بالاعتراف بمشاكلنا ووضع حلول عملية ودعم عملية سياسية تعددية ديمقراطية غير ذلك تظل الأساطير التي لا تبنى وطن ورغم ذلك سيفيق الشعب يوما ما ولكن كلما تأخر الشعب زادت المشكلات وصعبت الحلول التي قد تصل لمرحلة التجزوء والتقسيم، والإمبراطوريات والتاريخ غرقي بهذه الأمثلة.

النظرية فى النسخة العربية تم استخدامها لتبرير فشل الدولة للتعاطى مع مواطنيها قبل وأثناء وبعد الثورات وبدلا من الاعتراف بالقصور فى فهم التيارات الشابة منها بصفة خاصة والبحث عن معادلات إصلاحية كحد أدنى للاحتواء.

العجيب دائما ما يتم استخدام نظرية المؤامرة بكثافة في الإيحاء بأن العالم كله يتآمر ضدنا وفى مقدمة هذا العالم طبعا الولايات المتحدة وللمفارقة الولايات المتحدة أصلا هى من اخترعت وروجت للنظرية للإيحاء بأن قوى غير تقليدية تتآمر عليها (أي رسالتها الداخلية لشعبها) وهو ما يؤدى إلى رسوخ قناعة لدى المواطن الناخب بأن الدولة في عالمنا فى حاجة إلى رجال دولة وأبطال قوميين، ولا يفوك ذكاءك قطعا فى فهم النتيجة.

وهناك سلاح المخدرات الذي يدر أرباحا خيالية لا يمكن لأي بيزنس آخر بأي حساب مالي عادي وبناء لأي مبدأ اقتصادي أن يضاهيه فيها باعتبار أن المخدرات لا تزال تخضع للمنع والتحريم والتجريم وتقع تحت طائلة القانون الأخلاقي والجنائي، فإن الأموال الهائلة المتأتية منه تبقى "في الظل"، ولا تخضع للرقابة المالية والسياسية لا الرسمية ولا السياسية العامة، أو الخاصة. وهذا ما يتيح للاحتكارية الإجرامية أن تتصرف بهذه الأموال كما تشاء على مدى العالم بأسره، دون الخضوع لرقابة حتى دولها ومجتمعاتها أو حتى أحزابها المعنية، ناهيك عن مؤسسات المجتمع الدولي بشكل عام. ولتبيان أهمية هذه النقطة نقدم مثال فإذا أراد "السي آي ايه" أو "الموساد" مثلا تنظيم سلسلة اغتيالات أو انقلاب دموي أو عملية إرهابية كبرى، فهي تحتاج ليس فقط إلى قرار سياسي معين، بل أيضا وإلى تمويل معين يحتاج هو نفسه إلى قرار من مرجع رسمي أو شبه رسمي أو حزبي معين الخ. وبذلك تكون تلك الطغمة مضطرة للخضوع، في نهاية المطاف، لمؤسسة ما من مؤسسات الدولة التي توجد فيها، أو المؤسسات الحزبية أو السياسية في المجتمع الذي هي جزء منه. أما في حالة توفر أموال المخدرات "غير الشرعية" وغير الداخلة في أي حساب اقتصادي رسمي و"شرعي" من الأساس، فإن الطغمة الإجرامية تصبح طليقة اليدين كليا، في التقرير والتخطيط والتنفيذ والتمويل، لأي خطة أو حملة أو حتى حرب في أي مكان في العالم، بما في ذلك داخل بلدانها بالذات، وبمعزل وحتى ضد مؤسساتها بالذات الرسمية وغير الرسمية.

إنها تقوم على "مبدأ" "المصلحة المطلقة" أو "المصلحة بذاتها"، التي لا تقيم أي اعتبار لأي "قيمة" أخلاقية أو وطنية أو دينية أو سياسية أو فكرية الخ في معظمها بالطبع. فالإمبراطورية البريطانية حينما لجأت إلى سلاح الأفيون، استخدمته فقط ضد الصينيين، أما غيرها فقد تستخدم هذا البيزنس أينما كان حتى في بلدانها. ويقول لورنسو مرتينس، مدير المنظمة العالمية لمكافحة المخدرات، إن بيزنس المخدرات هو التجارة غير المشروعة الأكثر ربعية في العالم بعد تجارة السلاح، وهو يدر ما لا يقل عن 500 مليار دولار سنويا. وحسب بعض تقارير الامم المتحدة بالذات، فإن تبييض غالبية الأموال المتحصلة في تجارة المخدرات، والتي تبلغ مئات المليارات سنويا، إنما يجري في الولايات المتحدة بالذات. وتأتي أفغانستان كأهم منتج دولي للمخدرات وحسب الإنتربول فإن حوالى 80 % من الأفيون تأتي من هذا البلد، حيث في البدء يجري تحويل الأفيون إلى مورفين، ومن ثم إلى هيروبين. ويجري الحصول على المحفزات، أي المواد الكيماوية الضرورية لعملية التحويل.

ولإدراك الأهمية الاستراتيجية لهذا البلد، على هذا الصعيد، يكفي إيراد بعض المعلومات حيث يتم سنويا في أفغانستان إنتاج 250 طنا من الهيروبين. والكيلوجرام الواحد من

الهيروبين ماركة "9999" يساوي سعره في أسواق الولايات المتحدة وأوروبا الغربية أكثر من 000 100 دولار أمريكي. مقابل مثل هذه القيمة للمنتوج النهائي، فإن نفقات زراعة المادة الخام وعملية تحويلها هي نفقات بخسة جدا، ولا تتجاوز 1 % من هذا المبلغ، أي حوالى 1000 دولار للكجم. وحينما جاؤوا إلى السلطة في كابول قبل عدة سنوات، فإن الطالبان جعلوا مسألة زراعة خشخاش الأفيون سياسة رسمية للدولة. وكان أسامة بن لادن، مستعينا بصفته كرجل أعمال وبعلاقاته الدولية، هو الذي يشرف على عملية تبييض أموال المخدرات، وكان يتلقى مقابل ذلك ما بين 2 و10 % من تجارة المخدرات الأفغانية، التي كانت تقدر في مختلف المراحل ما بين 150 مليونا وملیار دولار سنويا. وكان جزء من هذه الأموال يذهب لدعم الحركات المسلحة المحلية والأجنبية التي كان يتم إدخالها إلى جمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية السابقة. وجزء ثان كان يذهب لدعم زراعة وتجارة المخدرات. ومقابل المخدرات، كان الطالبان يشترون السلاح الذي كانوا يستخدمونه لتوسيع زراعة المخدرات. وهكذا كانت الحلقة تتسع باستمرار. إن قيام الأميركيين بإضفاء الصفة الشيطانية على حليفهم السابق بن لادن، قد بدأت بالضبط في أواخر صيف 1998. وقد تولت ذلك السي آي إيه. وحدث هذا التبدل حينما بدأت تلك الأجهزة وزميلتها الانجليزية تتأكد أن "الإرهابي رقم واحد في العالم" لديه النية لأن يسيطر على بيزنس المخدرات الأفغاني بمجمله، بما في ذلك إيصال "السلعة" إلى أوروبا. وقوس قزح المخدرات في معظم دول العالم جرى إنشاؤه بمشاركة العملاء والمتعاونين مع المخابرات العامة والعسكرية لدول كبرى.

فنون الحرب النفسية ودعاية العنف والجريمة

الحرب في جوهره تبادل منظم للعنف.والدعاية في جوهرها عملية إقناع منظمة (حرب الأفكار) وبينما تهاجم الأولى الجسد ,فإن الثانية تنقض على العقل.الأولى حسية والثانية نفسية .وفي زمن الحرب تهاجم الدعاية والأعمال الحربية النفسية جزءا من الجسد لا تستطيع الأسلحة الأخرى أن تصل إليه في محاولة للتأثير في طريقة أداء الأطراف المشاركة في ميدان القتال .إنهما تحاولان رفع معنويات أحد الجوانب. وأن تنسفا إرادة القتال لدى الآخر .وعلى هذا النحو وعلى رغم أنهما لا تستطيعان وحدهما كسب الحرب , فإنهما سلاحان لا يقلان أهمية عن الاسلحة .ومن المؤكد أن أسلحة العقل ومتفجراته هذه مثلها مثل الأسلحة التقليدية والحديثة قد أصبحت معقدة بشكل متزايد مع ما تحقق من أنواع التقدم في التكنولوجيا وعلم النفس .غير أن الملحمة الشعرية أو الرسم في الماضي لا يزيدان في الحقيقة شيئا عن الفيلم أو المذيع التليفزيوني الدعائي .وعلى الرغم من أن الدعاية للحرب قد زادت تعقيدا واتساعا زيادة مثيرة في القرن الحالي , فإنها نشاط يرجع إلى الزمن الذي التقط فيه إنسان ما للمرة الأولى عصا غليظة في سورة الغضب.وعلى الرغم من أن الحرب قد لقيت الاعتراف على طول التاريخ الإنساني باعتبارها نشاطا مقبولا , بل غالبا ما اعتبرت نشاطا طبيعيا ومجيدا فإن الكثيرين ما يزالون يعتبرون الدعاية شيئا مختلفا إما بوصفها عملية مرفوضة رفضا كليا لأنها توضع لكي تنسف إرادة الاشتراك في فنون الحرب القبول.والدعاية ذاتها ليست عملا خبيثا ولا شريرا .إنها في الحقيقة ليست أكثر من تنظيم الوسائل التي تصمم لإقناع الناس بأن يفكروا ويسلكوا بطريقة معينة وهذا يعني في زمن الحرب دفعهم إلى القتال أو إلى مساندة القتال وتأييده.ولست أعني بهذا ضمنيا أن دفع الناس إلى شن الحروب عمل صائب. فاعني فحسب أن الدعاية تقوم بدور أساسي في إقناع الناس بأن يخاطروا بحياتهم مهما كانت الأسباب أو القضية.والدعاية للحرب هي عملية ترسم خططها لإقناع الناس بأن يخوضوا القتال .والحرب النفسية من الجانب الآخر هي الدعاية المخططة لإقناع الطرف المقابل ألا يخوض القتال .وهنا تظهر خاصية تدعو إلى العجب .إذ إن فكرة وصم محاولة إقناع الناس بأن يلقوا سلاحهم وبأن يكفوا عن القتال بدلا من أن يواصلوا المخاطرة بحياتهم وصمها تصبحان بديلا للحرب .وهذا هو كل ما تدور حوله الحروب الباردة وما تشابهها في القرن ال21 .ومع ذلك فلا الدعاية ولا الحرب النفسية تعرضتا لجلاء ما تتضمنانه من ألغاز محيرة قبل عصر الانشطار النووي وعلماء النفس أي قبل ظهور أمثال آينشتاين وأوبنها. وفرويد ويونج .فقد كانت الحرب تعتبر وسيلة طبيعية ومقبولة لحل المنازعات وامتدادا للسياسة بوسائل مختلفة .وكان ينظر بشك إلى أي شيء.يمكن أن يعترض طريق هذا الشكل للتواصل البشري على الأقل من جانب الطرف الذي كانت تمارس ضده .

وكانت الحرب النفسية تبدو سلاحا ملتويا مخاتلا لإغواء أرواح وعقول الرجال الذين دفعهم نزوعهم العدواني الطبيعي بصورة دورية إلى ساحات القتال حيث يحرز الأفراد وتحرز الدول أماكنهم في التاريخ .وعباءة الحرب أقدم عمرا من عباءة السلام بكثير . الوسائل النفسية التي وضعت بغرض أن تدفع طرفا بعينه إلى القتال وأن تحمل الطرف الآخر على الإحجام .وهو يعالج موضوعه من مختلف الزوايا, فيغطي طبيعة المجتمع الذي أنتج الميول العسكرية والصور الموجهة للاحتياج إلى الحرب رأي فيها من المجد في تجنيد الرجال وحشدهم في ميدان القتال وأهداف الأشخاص كأفراد ودورهم واستخدام الدعاية التبريرية التالية للأحداث .ومن الاحتمالات الكبيرة تفسخ المجتمع الأمريكي،خاصة في ظل عدة عوامل مشجعة على هذا التفسخ مثل التغيير الذي طرأ على حجم الهجرة إلى الولايات المتحدة والمصادر الجديدة لهذه الهجرة (خصوصاً من الدول الشيوعية السابقة وتعاظم الاتجاه نحو التعددية الثقافية في المجتمع وعناصرالاهتزاز ومظاهر ازدياد معارضة الأمريكيين للسلطة الفيدرالية التي تشكل رمز هذه الهوية. وتقديرات مكتب الإحصاء الأمريكي تقول أن نسبة تعداد الأمريكيين البيض تنخفض من ثلاثة أرباع السكان إلى نصف السكان. وسيتوزع النصف الآخر إلى 25 % من ذوي الأصول اللاتينية و14 % من السود و80 % من الآسيويين مع مهاجري جزر المحيط الهادي. وهذا التغير يحمل معه تغييراً في الخريطة الدينية الأمريكية، خصوصاً أن المسلمين يتزايدون بكثرة. ومع هذا التغيير الديموغرافي والديني هناك تغيير في مواقف المهاجرين الجدد. فهؤلاء كانوا يشعرون بالتمييز عندما لا تتاح لهم فرص التكامل في المجتمع الأمريكي، لكنهم باتوا يحسّون بالتمييز عندما لا يسمح لهم بالاحتفاظ بخصوصيتهم بعيداً عن التيار العام للمجتمع. ومن عوامل التفسخ والتي برزت عقب انتهاء الحرب الباردة وهي تعاظم الميل نحو التعددية الثقافية، حتى أنه يسجل أن إيديولوجيات هذه التعددية تنكر أو تستنكر عملية الاستيعاب الثقافي للمهاجرين الجدد، كما تنكر أصلاً وجود ثقافة مشتركة (أي أنها ترفض الهوية الأمريكية) وهي ترغب في تكوين ثقافات فرعية متميّزة عن التيار العام طبقاً لتميّزها العنصري أو العرقي. والرئيس كلينتون كان أول رئيس أمريكي يشجع التنوع والاختلاف بدلاً من تدعيم الوحدة الثقافية للبلاد كما فعل أسلافه.

انطلاقاً من هذه النقاط يوضح هنتنجتون أهمية وحجم التحولات الراهنة وتهديداتها متعددة الصعد، للهوية الأمريكية، ودور هذه التحولات في التغيرات التي ستطرأ على تعريفات المصالح القومية الأمريكية في المستقبل المنظور.

لكن القرن لن تحدث فيه حروب طويلة الازمان مثلما كان يحدث في الماضي كحرب المائة عام التي دامت في الحقيقة وبشكل متقطع فيما بين عام١٣٣٧ و١٤٥٣ كانت

صراعا بين الملوك الإنجليز والفرنسيين.أو حتى مدد أقصر كحرب العراق وإيران,لكنها قد تكون حروب متقطعة الأزمان.هذا مرجعه الرئيسي وجود قوانين ومواثيق دولية وأسلحة أحدث. مباركة هي تلك العصور التي لم تكن تعرف ضراوة أدوات المدفعية الشيطانية التي أثق أن مخترعها يشوي الآن في الجحيم لكي يتلقى جزاء اختراعه الذي يعد سببا في أن يتمكن جبان من القضاء على حياة أشجع البشر وأكثر تمسك بالقيم الإنسانية. إنه سبب في أن يحدث وسط ذلك العنفوان والعزم الشديد الذي يلهب قلوب الجسورين ويدفعهم فيحدث أن تأتي طلقة طائشة يكون قد أطلقها شخص هارب أخافه لسان اللهب الذي يخرج من سلاحه فلا يعرف أحد من أين تجيء؟ لقد حول الصهاينة الديانة اليهودية واليهود إلى لعبة في اللعبة التي تم إقحامهم فيها، فشاع الكره لكل اليهود في أوروبا وأمريكا والعالم كله. كل هذا بسبب مجموعة تم إقحامها في لعبة فبدلا من العودة والخروج من المأزق ازدادت سوء فاحتلوا بلد آمن هو فلسطين ويسوقون بلد كبير إلى الهاوية هو الولايات المتحدة. سوف يكرههم الأمريكان أنفسهم والأوربيون والشرقيون بالطبع. إنهم في حرب بلا هوادة مع العالم.عندما يمكثون في مكان سرعان ما تنفجر المشكلات والصراعات في أوروبا وألمانيا وروسيا والشرق العربي والنتيجة حتمية هجرتهم ورحيلهم من مكان لآخر. لماذا لا ينظرون للعالم مثل المسلمين والمسيحيين اللذين يتعايشون في سلم وآمن في كل بقاع العالم؟ للأسف يوقعون بينهم وهم لا يدركون أنهم يعرضون ديانة سماوية للانقراض. ادعوهم للتعايش السمي في داخل أنفسهم ومع باقي البشر وإنهاء لعبة ما تسمي بإسرائيل التي ستكون سبب اختفاءهم بعد اختفائها من العالم. بالطبع هناك يهود يجلون الناس ويرفضون ما يحدث لأنفسهم ولإخوانهم من اليهود، ولا أمل إلا في هؤلاء من إنقاذ أنفسهم وإيقاظ الآخرين قبل فوات الأوان باختفاء الجميع أو حرب عالمية عاتية.

كما استخدام التبرير الديني للحرب خاصة في الحروب والصراعات غير النظامية ,رغم أني أري أنه لا يوجد في الحرب شيء جميل, كما اعترف بحماقة استخدام فكرة الحرب الدينية. وجملة الحرب العادلة في كل العصور وخاصة عصر تتزايد فيه التكنولوجيا والمعلوماتية أمر غير صحيح فهي قد تعيد الطرف الذي يرفض التفاوض أو يعتدي على حقوق غيره.ومع ما تحمله من تضمينات دينية هي تبريرية أري أنها قد تكون ضرورية ليكون الحق في نصابه ,لكن وفق القوانين والمواثيق والأعراف والقيم.

وفيما يتعلق بالحرب الشاملة نجد أن قاطرة التغير التاريخي انطلقت بكامل سرعتهاعام ١٩١٤ بالنسبة لكل من الحرب العالمية الأولي والدعاية لها.غير أن الحرب التي بدأت بالرقص في شوارع عواصم أوروبا انتهت بعد ذلك بأربع سنوات بالهدنة التي وقعت في غابة كومبي. وسط صنوف من الأحزان والفواجع وتبادل الاتهامات . لقد كانت حربا بدأت

بجيوش المتطوعة التقليدية ثم انتهت. وقد لجأت جميع الدول المتحاربة إلى فرض التجنيد الإجباري ;وشهدت انهيار أربع إمبراطوريات أوروبية,هي الروسية والألـ لمانية والنمساوية و المجرية والعثمانية ;كما شهدت تأسيس دول عدة جديدة مستقلة مثل رومانيا ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وهي الدول التي قدر لها أن تكون غرسا لبذور الصراع التالي.

كما شهدت الحرب العالمية الثانية أكبر المعارك الدعائية في تاريخ الحروب فطوال ست سنوات استخدم جميع الأطراف المشاركة في الحرب الدعاية على نطاق تتضاءل بالمقارنة معه جميع الصراعات الأخرى في ذلك الحرب العالمية الأولى نفسها وثمة أسباب عدة لذلك . ففي المقام الأول كانت هذه حربا بين أمم بكاملها وزادت في هذه الصفة حتى على ما شهدته الأعوام من ١٩١٤ إلى ١٩١٨. وفي الدول الشمولية كان القهر قد حل محل الشورى في العمليات السياسية وكانت

الديموقراطية قد تفكك بنيانها وأخضعت كتل الجماهير لإرادة أنظمة الحزب الواحد . ومن جوانب عدة كانت الحرب فيما بين ١٩٣٩ و١٩٤٥ معركة بين نوع. من الأنظمة السياسية يتصارعان في سبيل السيادة فيما بينهما وفي معركة من أجل المستقبل.ولقد تطورت وظهرت كل من الديمقراطية والمدنية والديكتاتورية الشمولية من طيات أعماق الحرب العالمية الأولى , وجاء عام ١٩٣٩ ليكون شهادة على

استحالة أن يوائم كل منهما الآخر وأعقب ذلك نشوب صراع بين مجتمعات جماهيرية حرب بين أيديولوجيات سياسية.

وأخطر ما يواجه العالم دعم المخابرات الدولية للتيارات الدينة في أي دولة أو إقليم فلا يهم أمريكا –كمثال- دعم الإسلام، فهذا آخر ما تريده أمريكا، بل من إدراك مخابراتها، وعبر تجارب ودراسات طويلة بأن التيارات الدينية بطبيعتها وتكوينها تقوم على التشرذم والشرذمة، فهي تتشرذم ذاتيا بحكم تفسيرها لما هو غيبي وقابل للتفسيرات المتناقضة تماما مثلما تنقسم الخلايا السرطانية، وهي قابلة التشرذم في المجتمع بحكم كونها تفتي وتحكم باسم الله، الأمر الذي يجعلها واقعيا وفعليا عبارة عن خلايا سرطانية وليس خلايا عادية تولد وبلا أي توقف الانقسامات الدورية غير المنضبطة ولا تسمح بإيقاف دوران عجلة التقسيم أبدا حتى لو وصلت في قلبها وهو ما يحدث لها فيما بعد ! لذلك فإن الهدف من دعم وصول إسلاميين للسلطة هو توظيف إمساكهم بالسلطة لخدمة أهداف معينة.

ومن أهم أدوات العصر الشائعات وتختصر تقليدياً إلى مجموعتين من العوامل وهما 1- الأهمية.2- الغموض.

هذا وتصنف الشائعة بحسب السيكولوجيين وفق معايير تصنيف مختلفة ومن أهم أصناف الشائعات نذكر :

أ- الشائعة البطيئة : وهي تنتشر بصورة بطيئة ولكن على مدى زمني أوسع.
ب- الشائعة الاندفاعية : وهي تنتشر بسرعة فائقة لاعتمادها على إثارة انفعالات قوية.
ج- شائعات الأماني: ويتقبلها الجمهور دون تحري صحتها لأنّها تستجيب لأمانيه.
د- شائعات المشاعر السلبية : من خوف وكراهية ورغبة في الانتقام.
هـ شائعة البعبع : وهي شائعة تثير الهلع عند الجمهور ولا تترك له فرصة تحري صدقيتها.
و-الشائعة العنصرية : وتعتمد في انتشارها على المواقف العنصرية المسبقة.
ز-الشائعة الغاطسة : وهي شائعة تروج لمدة ثم تغطس لتعود فتطفوا إلى السطح من جديد في الوقت المناسب.
وبالانتقال إلى الشائعة الحديثة نجد أنها تتمتع بالمواصفات التالية :
أ- إنّها تعتمد على عبارة نوعية (وليس على أحداث) تتجلى بمصطلحات يتم إطلاقها عبر وسائل الاتصال المتطورة حتى تثير أكبر قدر مُمكن من الجدال والتفسيرات المتضاربة المؤدية لزيادة انتشارها لغاية التعميم.
ب- أن الغموض الذي يلف عالم ما بعد الحرب الباردة يخلق أجواء مناسبة لإطلاق الشائعات المرتبطة بالفوضى الناجمة عن نِهاية هذه الحرب.
ج- أن أية شائعة تتعلق بترتيب أوضاع العالم الجديد تملك أهمية تدعم انتشارها لكن عصر المعلومات يحد من غموض الشائعة لأنه يسهل الحصول على المعلومات التي تزيل هذا الغموض فتؤكد الصدق أو تنفيه لذلك فإن الشائعة الحديثة تستغل الفوضى العالمية لتكتسب أهمية فائقة ولتثير الانفعالات وتتجنب أزمة افتضاح الغموض بلجوئها للطروحات المستقبلية التي لا يمكن الحكم على صدقيتها إلا بانتظار ما سيأتي به المستقبل.ولما كانت المستقبليات تعتمد مبدأ الاستقراء التاريخ وتستمد منه طروحاتِها فإنه من الطبيعي أن تكون الشائعات المستقبلية مستندة إلى هذا الاستقراء وبالتالي فإنّها غالباً ما تكون غاطسة. فمصطلح النظام العالمي الجديد مجرد شائعة ومغالطة فهة ليس نظاماً ولا عالمياً ولا جديداً وهذا يعني أنه مجرد شائعة منطلقة من عبارة نوعية.و هذه الشائعة من نوع الشائعات الغاطسة ولتبيان ذلك يكفي أن نتذكر أحلام سيادة العالم لدى الأباطرة القدماء والجدد وأن نتذكر مصطلحات مثل "المملكة التي لا تغيب عنها الشمس" وأوهام ظهور أشخاص يسودون العالم كمثل السيد في رواية "1984" لجورج اورويل ... الخ. وإذا كنا في مجال القراءة السيكولوجية لهذا المصطلح فإننا نتسائل عن وجود دوافع عاطفية كامنة خلف صياغته. فقد أطلق المكتشفون على القارة الأمريكية تسمية الأرض الجديدة أو العالم الجديد فهل لهذه التسمية حصة دلالية في المصطلح كي تمكننا ترجمته إلى "النظام الأمريكي" ؟. وقراءتنا لهذا المصطلح على أنه شائعة لا تكتمل إلا بطرح احتمالات الفائدة المرجوة من إطلاقها. وهي احتمالات غير خفية ومناقشتها

باتت معلنة. حتى يمكن القول بأنها باتت عبئاً على الولايات المتحدة نفسها. حيث نلاحظ تراجع الإدارة الأمريكية عن هذه الشائعة عبر عودتها إلى سياسة الأحلاف وتدعيمها لحف الأطلسي وتأكيدها على توريط أعضائه. وأيضاً عبر العمل على عولمته ليضم أوستراليا وبعض الدول الآسيوية بحيث تصبح تسميته بالأطلسي تسمية تحتاج للمراجعة. حيث تصح تسميته بالحلف الأميركي (أو حلف العالم الجديد) وإذا كان مصطلح النظام يعني مسؤولية أيجاد قوانين تنظم العالم فإن مصطلح حلف أخف وطأة كونه يعني اتفاق أصحاب مصالح مشتركة وإبقاء منافسيهم خارج الاتفاق. أما بالنسبة للصين فإن انغلاقها التاريخي على ذاتها يؤمن الغموض لأية شائعة تطلق حولَها وشائعة الصدام معها تعود في العصر الحديث إلى نابليون الذي حذر من إيقاظ المارد الصيني وإلى الفيلسوف الفرنسي أوغسطين كورنو الذي رشحها قطباً مواجهاً للولايات المتحدة خلال القرن العشرين (جاء الترشيح في العام 1861). ثم جاءت تسمية مارك آرثر للصين بالخطر الأصفر وتم تداول هذا التعبير على ألسنة رؤساء ومسؤولين أمريكيين طيلة عقود ثم جاء هنتنجتون ليطفو بهذه الشائعة إلى السطح. منطلقاً من حيوية وضرورة إيجاد عدوْ للولايات المتحدة. وبناء عليه فإن حلف العالم الجديد لن يجد نفسه في صراع مع الإسلام. وبالتالي مع منطقة الشرق الأوسط. الأمر الذي يسمح له بمراجعة عقلانية لأوضاع المنطقة ولتاريخ علاقات دولها بالولايات المتحدة وبالغرب إجمالاً. خصوصاً بعد العودة إلى سياسة الأحلاف. إن سيناريو تحويل الشرق الأوسط إلى جنة متكفلة برعاية المصالح الأمريكية هو أقرب للسذاجة من للخيال. لكن هذه الكفالة لا تلغي قائمة من الأسئلة المصيرية بالنسبة لمستقبل المصالح الأمريكية في المنطقة وفي طليعتها. وليس إمام أمريكا في المنطقة العربية وسوي التخلص من أعباء المعونات المقدمة لإسرائيل والتي لَم تعد مبررة استراتيجياً. وتسوية الصراع العربي—الإسرائيلي هي أكثر الحلول وجاهة. كما تعمل أمريكا على التحكم في تناقضات المنطقة وملكية خيوطها التي تسمح بقلب الطاولة على أي نظام أو توازن يهدد المصالح الأمريكية في المنطقة.

وإيجاد منافذ لتأمين الانفتاح الإيراني على الحلف الأمريكي وتعويض مشاعر الخسارة الناجمة عن عاصفة الصحراء وهو ما نره بسماح أمريكا بنهضة جيدة في دول الخليج العربي. إن التناقضات بين دول حلف الناتو تجعله قابلاً للانفجار في أية أزمة مفصلية. خصوصاً وأنها تجمع بين التناقض العرقي والديني والمذهبي والثقافي واللغوي. وقبل هذه الأسباب، وكثيرة غيرها.

من هنا لابد لنا من وجود مؤسسات دينية كبيرة تتبني الإسلام الوسطي مثلما في مصر فكر الأزهر،غير ذلك سنفاجأ بخصخصة الدين وتفتيته لجماعات كل جماعة لها مؤسس

وكتب وقواعد بعيد عن الإسلام وسنفاجأ بوجود جماعات عالمية بعيدة تماما عن الإسلام أما بفكر متشدد أو بفكر مغاير للإسلام الصحيح.

وعموماً على اتساع خمس قارات خلال سنوات القرن سوف ينشب صراع لا نهاية له بين العنف وبين الإقناع , من هنا سيكون السبيل المشرف هو رهن حوار مؤداه أن الكلمات أقوى من الطلقات. ولكن هل يصل الخلاف الأمريكي – الإسرائيلي إلى حدود التصادم في يوم ما ؟ ممكن خاصة بعد أن وصل هذا الخلاف إلى حدود تضارب المصالح والصراع الخفي. أما أن يتحول إلى صدام فهذا أمر مستبعد فاليهود أحسنوا عبر تاريخهم المتقطع تجنب مصادمة الأقوياء. كما أحسنوا الهروب من أية مواجهة من هذا النوع. لكنهم أتقنوا في المقابل التخطيط طويل الأمد لاحتواء أعدائهم وتأجيج صراعهم مع الغير. ويبدو أن محاولات احتواء اليهود للولايات المتحدة قد بدأت منذ فترة ليست بالقصيرة. وهو ما يساهم بالتعجيل في انهيار أمريكا وإسرائيل.ولكن كيف؟ ومتي؟ أسئلة اترك اجابتها للساسة والمخططيهم والمنظرين المحترفين.

استراتيجيات التدمير والتقويض

إن الصراع العالمي ضد التطرف العنيف هو على الأغلب تهديد أكثرمن خطير وهو ما تواجهه البشرية جميعاً, وبعض الدول تضع له خطط واستراتيجيات فما تفعله الولايات المتحدة هو نموذج تؤكده الولايات الأمريكية بأنها تواجه خطر الإرهاب حتى 2020 على الأقل بحجة أن التفوق الأمريكي في القتال الحربي التقليدي أجبر الخصوم على تجنب المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة .

فقد أقرَّ تقرير استعراض الدفاع ٢٠١٠ (QDR) ٢٠٠٦ - ٢٠٠٦ (بأن الحرب غيرالنظامية) (IW أصبحت للخصوم"حرب الاختيار."فهم يستخدمون استراتيجية التدمير والتقويض النفسي والاقتصادي والطبيعي، سياسة الاستنزاف، لتقليص وإضعاف القدرة الوطنية، النفوذ، وإرادة الولايات المتحدة وشركائها الاستراتيجيين.

يحاربونها من بين الناس في صرا ع مطول لاستقطاب الدعم الشعبي والشرعية، ولتقييد فوائد الاستخدام التقليدي لقوتها العسكرية. ويؤكد التقرير أن خصوم الولايات المتحدة غير تقليديين ,لذلك يجب أن يكون المفهوم لهزيمتهم غيرتقليدي . فالأمريكان لا يستطيعون أن يهزموا خصومهم بالقوة فقط؛ يسخِّرون مزيج من المفاهيم السياسية، المعلوماتية، الاقتصادية، العسكرية، والثقافية-الاجتماعية؛ بتوحيد الجهود مع الحكومات وقوات الأمن الأجنبية، والسكان.

التطرف العنيف ليس الخطرالوحيد .لأن خطر الحرب بين الدول لم تنته .فالولايات المتحدة تُبقي هيمنتها في قدرات خوض الحرب بين الدول لكي تَردَع، وأن تربح مثل هذه الحروب إن كان ذلك ضروري. على أية حال، قد تغيَّرت خواص الحرب بين الدول . فإعلان الشرق الأوسط الكبير والمترامي الأطراف هو الشرق المسلم الممتد حتى حدود الصين ومعها الجمهوريات الإسلامية السوفياتية السابقة. أما عن شمال أفريقيا فهي منطقة تضم الى هذا الشرق في ظل تفاهم أمريكي - أوروبي وتفصل عنه في غياب هذا التفاهم. وعليه يجب توقع إرتباط ضم الشمال الأفريقي للشرق الأوسط ببورصة العملات الأوروبية الأمريكية.

هذه القراءة سوف تجعلنا ندرك أن تغيير خارطة المنطقة وتعريف الشرق الأوسط ومعهما التهم التي تساق للدول خاصة الدول العربية والاسلامية في تقرير بارد وغيره هي تهم معدة سلفاً ولا علاقة لها لا بالإرهاب ولا بحوادث 11 سبتمبر. ومن طبيعة الأشياء أن يقوم المنتصر في حرب عالمية بإعادة ترتيب جغرافية العالم بما يظن أنه يخدم مصالحه. وهكذا حدث في الحربين العالميتين وهذا ما نشهده يحدث بعد نهاية الحرب الباردة. وهذا يعكس التغيير العميق في دلالات المصطلحات الجغرافية الطابع. فكلمة "روسيا " كانت تعني أثناء الحرب الباردة الإتحاد السوفيتي بجمهورياته. أما الآن فإنها تعني

الجمهورية الروسية بحدودها الضيقة نسبياً مقارنة بمساحة الاتحاد السوفيتي طبعاً. والحروب لا تكتفي بإعطاء دلالات جديدة للأسماء أو المصطلحات القديمة بل إنها تولد أسماء جديدة (مثل جمهورية البوسنة -الهرسك) ومصطلحات جديدة مثل النظام العالمي الجديد. وهذه الأسماء والمصطلحات الجديدة تمتاز بقابلية دلالاتها للتغيير طيلة فترة الفوضى التي تعقب نهاية الحروب ولغاية إقرار توازن جديد يميز مرحلة ما بعد الحرب. فالفوضى السياسية والاجتماعية ومعها فوضى المصطلحات لا تنتهي بانتهاء الحرب التي تخلف دولاً تلملم جراحها وتجهد لاستعادة توازنها أو لإقامة توازن جديد يلائم عالم ما بعد الحرب. بل هي تنتهي بعد إرساء استقرار جديد. الفوضى المتعددة الصعد كان لا بد للولايات المتحدة من إيجاد صيغ تكتيكية للتعامل مع الواقع الجديد. وهي قد أجادت في وضع هذه الصيغ لكنها افتقدت فجأة للرؤية الاستراتيجية الطويلة الأمد لمصالحها ولدورها في العالم. وفقدان هذه الرؤية يجعل من مصطلح "النظام العالمي الجديد" عبارة بدون مضمون. بل أنّ هذا المصطلح يكاد يتطابق مع مصطلح سابق له تاريخياً وهو مصطلح الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي لم تكن لا إمبراطورية ولا رومانية ولا مقدسة،حيث نجد عالَمَ ما بعد الحرب الباردة مزروعاً بالنّزاعات والحروب. والولايات المتحدة لم تكن مجرد متفرج في هذه النّزاعات أو مجرد متدخلٍ (أو حتى طرف) لِحلّها. وتآكل المصالح الأمريكية عن إمكانية حدوث مثل هذا الإنفجار لو كان للولايات عدواً ما ؟! حيث استحالة توجيه المصالح الأميركية (وضع استراتيجية متماسكة) في غياب العدو. مِمّا يعني ضمناً غياب مثل هذه الإستراتيجية المتماسكة وعلاج كل حالة بحالتها. وتردّدت تُهمة الغياب هذه على لسان المستقبلي الفرنسي جاك آتالي إذ قال إن إدارة كلينتون تريد أن تفرض حلولاً مؤقتة ومتخيلة لا ترتكز إلى رؤية استراتيجية متماسكة وفي الإتجاه عينه قال غور فيدال بأن إدارة كلينتون تتجنب إتخاذ خيارات واضحة أو تقديم رؤية كلية متماسكة. وحول هذا الإطار تتوالى الإنتقادات للسياسة الأمريكية من داخل الولايات المتحدة وخارجها. والصيغة التكتيكية التي اعتمدتها أمريكا هي تصدير الفوضى إلى العالم حتى لا تتفجر من الداخل وهو ما اراه هروب مؤقت بدل تقديم حلول حقيقية وجزرية. ومن الخطأ تجاهل الخوف الأمريكي من الفوضى الداخلية خصوصاً بعد أن نعرف بأن الحكومة الفيدرالية تنفق ستة مليارات دولار سنوياً لمكافحة الإرهاب الداخلي. وهو ضعف المبلغ الذي وفرته من خفضها للمعونات الخارجية بعد انتهاء الحرب الباردة. إذ تدنت هذه المعونات من اثنَي عشر مليار دولار إلى تسعة مليارات دولار سنوياً. وتتابع الولايات المتحدة إثارة مشاكل الأقليات في منطقة الشرق العربي –كمثال- فتقضي بذلك على توازنها الديموغرافي الراهن

بِما ينْزع عن المنطقة طابعها العربي. فتصبح قادرة على استيعاب إلحاقات جيوسياسية تمهد الطريق أمام شرق أوسطية ممتدة وغير قادرة على رفض عضوية إسرائيل.

الحرب غير النظامية والحرب التقليدية تندمجان لتشكلان نماذجاً جديدة من الحرب الهجينة، كما إن الدول العدوة المحتملة ترغب على الأرجح في إمتلاك الأسلحة الكيمياوية، الجرثومية، الإشعاعية، والنووية (CBRN) ووسائل نقلها؛ القابليات المتطورة ضد الدخول والحصول على المعلومات من الشبكة المعلوماتية؛ القابليات الهامة الغير إعتيادية للتصعيد الأفقي؛ وتعبئة الجماهير لمقاومة التدخل العسكري الأمريكي.

الحرب المستقبلية بين الدول ستكون على الأرجح نوعاً من الحرب الهجينة أكثر مما تشبه الحرب التقليدية التي تستعد لها القوات التقليدية المسلحة .هل تتدخل الولايات المتحدة في مثل هذه الحالات. ستحتاج القوات المسلحة على الأغلب إلى قابليات متينة للحرب غير النظامية لكي تستطيع شن الحرب الهجينة من وسط مناطق معادية السكان. ووصلت القيادة العليا في وزارة الدفاع (DoD) إلى ما يلي فيما يتعلق بالحرب غير النظامية :

1- لقد نُظِّمت القوات العسكرية الأمريكية ودُرِّبت وعلِّمت وجهِّزت من أجل الحرب التقليدية، وبقيت هذه القابليات ضرورية للردع وخوض الحروب التقليدية.

2- القوات العسكرية الأمريكية لم تُنظَّم وتُدرَّب وتُعلَّم أوتجهَّز لحرب غير نظامية مطولة على المستوى العالمي.

3- كان إستثمار وزارة الدفاع (DoD) غير كافي لقوات الأغراض العامة (GPF) وقوات العمليات الخاصة (SOF) والقدرات للحرب غير النظامية المطولة. وبينت القيادة العليا في وزارة الدفاع (DoD) عدم معرفتها ما كانت عليه الحرب غير النظامية، لكنها تعرف ما تحتاج إليه وزارة الدفاع بصورة حاسمة من القابليات والقدرات الكبيرة للقتال في الصراعات الحالية والمستقبلية والإنتصار فيها. الحرب غير النظامية هي صراع عنيف بين الممثلين الرسميين والغيررسميين من أجلال الشرعية والنفوذ على السكان المعنيين.تُفضِّل الحرب غير النظامية المفاهيم اللا متناظرة والغيرمباشرة، مع ذلك فإنها قد تستخدم المدى الكامل للقدرات

العسكرية وغيرها،من أجلإضعاف وتآكل قوة وتأثير وإرادة الخصم .بدأت وزارة الدفاع في ديسمبر ٢٠٠٥ برسم خارطة مسار تنفيذ الحرب غيرالنظامية لإدراجها في تقرير إستعراض الدفاع ٢٠٠٦ .(غرض هذه الخارطة كان لتسهيل تنفيذ القرارات السياسة لتقرير إستعراض الدفاع ٢٠٠٦ المتعلقة بالحرب غير النظامية. كانت خارطة المسار لتنفيذ الحرب غيرالنظامية واسطة نقل مؤقتة غرضها تمكين إنتقال ناجح من تقرير استعراض

الدفاع ٢٠٠٦ إلى منهج التخطيط التنفيذي مع التركيز على المدى القريب لبرنامج ميزانية الدفاع للسنوات المالية ٢٠٠٨ - ٢٠١٣. وتنفيذ الحرب غير النظامية يتم بواسطة ٢٨ مهمة نُظمت في ٥ مبادرات رئيسية لتطوير قابليات وقدرات الحرب غير النظامية ضمن وزارة الدفاع (المبادرات الرئيسية الخمس هى :1- تحويل الطريقة التي يدير بها موظفو وزارة الدفاع العسكريين والمدنيين لتلبية المتطلبات العملياتية للحرب غير النظامية

أولوية أولى، والتي تستلزم تغيير الطريقة التي تتبعها صنوف القوات العسكرية في التميز، الدخول الى المعلومات، التعليم، التدريب،التطوير، الإستخدام، وإبقاء أفرادها ملين بالخبرة المتعلقة بالحرب غيرالنظامية؛ وزيادة فرص موظفيوزارة الدفاع للحصول، وإدامة،وتحسين مهارات اللغات وفهم الثقافات الأجنبية.

2- إعادة التوازن لكفاءة وقدرات قوات الأغراض العامة لإدارة عمليات مكافحة التمرد الطويلة الأجل ومكافحة الإرهاب ,التدريب، التجهيز، وتعليم الأعداد الكبيرة من قوات الأمن الأجنبية؛وتبنى تطوير المجتمع المدني والحكم الفعال في المناطق الغير محكومة والمحكومة بصورة غير كافية. 3- زيادة كفاءة وقدرات قوات العمليات الخاصة في المهمتين المحددتين ولتلبية متطلبات قوات العمليات الخاصة في النقل الجوي.

4- زيادة كفاءة وقدرات وزارة الدفاع لإدارة العمليات المضادة للشبكات المعلوماتية، التي تستلزم تمييز، إيجاد، تعيين مواقع،تشخيص، تشويش، وتعطيل الخلايا المتطرفة، شبكات المعلومات،والأفراد؛ والتنبؤ بسلوكهم العملياتي.

5- إعادة تصميم تعليم صنوف القوات المسلحة والمشتركة والمدنيين والأفراد وتدريب الوحدات لإدارة ودعم الحرب غير النظامية. تَشمل خارطة المسار لتنفيذ الحرب غير النظامية قائمة" توضيحية" لفعاليات هذه الحرب .وهي قائمة مهمة، لأنها تخدم في تحديد مجال الحرب غيرالنظامية .وقد لاحظت الخارطة بأن الوكالات الحكومية (USG) لا تُدير فعاليات الإرهاب والنشاطات الإجرامية العالمية كمسألة من مسائل السياسة الوطنية للولايات المتحدة أو قانونها، وقد استمرت هذه القائمة لوقت طويل، وبإضافة الاتصالات الاستراتيجية، فإنها تبقى سليمة.

ووافقت قيادة القوات الخاصة الأمريكية وقيادة مشاة البحرية لتطوير القتال على تطوير "مفهوم صنوف القوات المسلحة المتعددة للحرب الغير نظامية "لوضع أساس فكري ثقافي لمفهوم مستقبلي مشترك للحرب غير النظامية. وتم التصديق على مفهوم صنوف القوات المسلحة المتعدِّدة في أغسطس ٢٠٠٦، بعد فترة قليلة من بدأ نفس الفريق العمل على كتابة مفهوم الإدارة المشتركة.

مفهوم الإدارة المشترك (JOC) للحرب غير النظامية يُحدِّد مشاكل القوة المشتركة التالية" :كيف يمكن الربط بين قادة يستخدمون قدرات عسكرية تقليدية وغير تقليدية في جهود مساندة الوكالات الحكومية المندمجة والشركاء المتعددي الجنسية لكسب أو إدامة السيطرة أو النفوذ على السكان المعنيين"؟. والفكرة المركزية لمفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية هى أن القوة المشتركة ستحل هذه المشكلة بتولي" تمديد فترة الحملات الإقليمية والعالمية بإستخدام المفاهيم غير المباشرة ضد الخصوم الحكوميين والغير حكوميين لتخريب، إكراه، إستنزاف، وإنهاك الخصوم بدلاً من هزيمتهم خلال مجابهة عسكرية تقليدية مباشرة .ستكون هذه الحملات موجهة من أجل السكان، وليست موجهة للخصم، وستؤكد على كسب دعم السكان المعنيين،تشجيع السلطة الصديقة، وتقويض وإستنزاف قوة الخصم، نفوذه، تأثيره،شرعيته، ودعمه.نلخص المقترحات التالية التفكير لوزارة الدفاع على الحرب غير النظامية كما اخذ من مفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية وتم تهذيبه خلال أكثر من سنة بالإختبار العلمي:1- الحرب غير النظامية هى" شكل رئيسي وواسع الإنتشار من الحرب "يحدث في البيئات الغير مستقرة سياسياً بسبب النزاع الدائم بين السكان .الحرب غير النظامية ليست بيئة أو نوع من العمليات العسكرية.

2- إن الذي يجعل الحرب غير النظامية" غير نظامية "هو تركيز عملياتها

-السكان المعنيين والغاية الإستراتيجية - لكسب أو إبقاء الشرعية والنفوذ وإسناد السكان المعنيين بواسطة الوسائل السياسية،النفسية، المعلوماتية، الإقتصادية، والعسكرية .الحرب التي عندهاالسكان" كمركز للعمليات "تتطلب عقلية مختلفة وقابليات مختلفة، عن الحرب التي تُركز على هزيمة الخصم عسكرياً .

3- أساس الحرب غير النظامية هو إهتمام وتركيز السكان المعنيين على طبيعة الصراع . جميع الأطراف تلتمس تقويض شرعية ومصداقيةخصومهم وعزلهم جسدياً ونفسياً عن السكان المعنيين .وفي نفس الوقت، ينشدون أيضاً أن يعززوا شرعيتهم الخاصة ومصداقيتهم مع نفس أولئك السكان .قد لا يكون الدعم الشعبي، بحد ذاته، ذو علاقة ببعض الإرهابيين والمتطرفين الآخرين الذين يجبرون السكان ببساطة على الخضوع والإذعان .على أية حال، إن التغلب على التحديات الغير نظامية يتطلب عادة كسب الشرعية والنفوذ، وضمان دعم السكان المعنيين،وليس هزيمة الخصم منذ البداية من خلال المجابهة العسكرية المباشرة. الحرب غير النظامية لا تعتمد على المهارة العسكرية العالية فقط، لكنها تعتمد أيضاً على فهم وإستغلال مثل هذه القوى الإجتماعية المحرِّكة كالسياسات العشائرية، الشبكات الإجتماعية، التأثير والنفوذ الديني،والأعراف والثقافة الإجتماعية.الناس، وليس الأجهزة والتكنولوجيا المتقدمة، هم المفتاح إلى الحرب غير

النظامية. 4- الحرب غير النظامية هي صراع سياسي بمكونات عنيفة وسلمية .إن إستعمال التعبير" عنيفة "بالأخص في التعريف كان قضية مثيرة للجدل، لأنه يُشير إلى طبيعة الصراع وليس إلى وصف العنف كطريق أساسي لشن هذا الصراع، فالحرب غير النظامية هي"سياسات بالأسلحة"، كما إن إستخدام التهديد أو العنف السياسي كأداة لتقويض الشرعية والتأثير على الخصم هو أحد الخصائص الحاسمة لهذه الحرب .إن الطبيعة العنيفة للصراع هي التي تعزل وتباعد الحرب غير النظامية عن العملية السياسية الطبيعية .وبسبب أن الحرب غير النظامية تحاول إيجاد الحلول السياسية أو تَدبير المشاكل السياسية المُستعصية، فيجب أن تكون القوى العسكرية دوماً في
دور الإسناد، حتى عندما تكون هي التي تُوفِّر أغلبية الموارد.

5- تمتد الحرب غير النظاميةإلى ما بعد المجال العسكري .فالحرب غيرالنظامية تَشنُّها الحكومات والسكان وليس القوات المسلحة فقط.

والتأثير على الحكومات الأجنبية والسكان نشاط معقد وفعالية سياسية متلازمة .لأن حملات الحرب غير النظامية ستفشل إذا شنَّت بالوسائل العسكرية وحدها .إن طبيعة الحرب غير النظامية تتطلب المنظمات الحكومية الأمريكية لإنجاز مستوى العمل الموحد الضروري لدمج وتوحيد كل وسائل القدرة الوطنية المتوفرة لمواجهة التهديدات غير النظامية. وتُطور المنظمات الحكومية الأمريكية مفاهيم " تسمي حكومة كاملة " لشن الحرب غير النظامية على المستويات السياسية، الإستراتيجية، العملياتية والتكتيكية .وعلى الوكالات المدنية الحكومية الأمريكية ذات العلاقة أن تبني قدراتها للعمل في البيئات الغير مستقرة أو العدائية.

6- الحرب غير النظامية هي من أجل شؤون الناس، وليس الأجهزةوالمنصات، ولا تعتمد هذه الحرب على مهاراتنا العسكرية العالية فقط، بل تعتمد أيضاً على فهمنا للقدرات الحركية الإجتماعية كالسياسة العشائرية، شبكات المعلومات الإجتماعية، التأثيرات الدينية، والأعراف الثقافية .إن الناس وليس الأجهزة والمنصات والتكنولوجيا المتقدمة،هم المفتاح لنجاح الحرب غير النظامية - الناس الصبورين، المثابرين،والأذكياء ثقافياً هم من يستطيعوا بناء العلاقات الطويلة المدى الضرورية لتنفيذ وإنجاز الحرب غير النظامية.

7- شن الحرب غير النظامية الطويلة المدى يعتمد على بناء قابليات وقدرات عالمية .إن هذه الحرب سوف لن تُربح بواسطة الولايات المتحدة وحدها، بل منقبل ومع ومن خلال الجهود المشتركة لشركائها الإستراتيجيين .وهذه ستتطلب القوة المشتركة لتأسيس الحضورالثابت الطويل المدى في البلدان العديدة لبناء قابليات وقدرات الشركاءالضرورية لمَدي الوصول العملياتي الأمريكي، مضاعفة القوات المتوفرة، وزيادة الخيارات لهزيمة من

تراهم خصومها. ويتميز مفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية بأربع أفكار مساندة تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في إنجاز الفكرة المركزية لمفهوم الإدارة المشترك.

8- تأسيس الحضور الدائم للحرب غير النظامية .فالقوة المشتركة ستحتاج إلى حضور عالمي دائم لفهم والتأثير على البيئة العملياتية والخصوم، كذلك لبناء قدرات الشريك على الحرب غير النظامية" .إن الإنتشار الدوري القصير المدى في الدول تحت الخطر سيكون مفهوماً ناقصاً للحرب غير النظامية لأن تأثيرات هذا الإنتشار ستتحرك بسرعة في الإتجاه المعاكس بواسطة إجراءات الخصم المضادة وبالقصور الذاتي الإعتيادي في الدولة الضعيفة والفاشلة"

9- تأسيس وإدامة العلاقات الشخصية لدعم الحرب غير النظامية".قدرة القوة المشتركة لإدارة الحرب غير النظامية بنجاح تعتمدعلى قدرتها في توفير إستمرارية الجهود على الفترات الطويلة الأمد.ستعتمد إستمرارية الجهود هذه على قدرة أعضاء القوة المشتركة في تأسيس وإدامة العلاقات الشخصية الطويلة المدى مع نظرائهم في المهمات الأمريكية ذات العلاقة وضمن الحكومات الأجنبية، السلطات السياسية التقليدية، وقوات الأمن."

10- توسيع دور قوات الأغراض العامة لدعم وتنفيذ مهمات الحرب غير النظامية . ستتطلب حملات الحرب غير النظامية على نحو متزايد قوات الأغراض العامة لأداء المهمات التي ينظر إليها بالأساس في السنوات الثلاثين الماضية كمهمات لقوات العمليات الخاصة .إن إعادة موازنة قوات الأغراض العامة لتولي مهمات مكافحة التمرد ومهمات الإرهاب المضاد وبناء قابليات وقدرات قوات الأمن الأجنبية سيؤدي إلى" تمديد الوصول العملياتي للقوة المشتركة وتحسين تعددية إستخدام قوات الأغراض العامة ضد الخصوم الذين يَختارون محاربة قوات الأغراض العامة بإستخدام هجين من القابليات التقليدية، غير النظامية، المعرقلة والكارثية .بالإضافة إلى قتال الخصوم غير الحكوميين، وهنا تستعد قواتها للأغراض العامةعلى شن الحرب غير النظامية ضد خصوم الدولة الذين عبّأوا السكان لمقاومة ومعارضة التدخل العسكري الأمريكي.

11- خلق آليات قيادة وسيطرة بديلة لإدارة، وتوجيه وإسناد الحرب غير النظامية . تَتطلب الحرب غير النظامية قوة المهمات المشتركة لتولي الجهود المثابرة والدائمة وإستمرارها في العديد من البلدان الأجنبية؛التدريب،التجهيز،والإستشارةوالنصح لقوات الأمن الأجنبية؛ والتخطيط، التنسيق، التزامن، وتكامل هذه النشاطات العسكرية مع المهمات الأمريكية في أنحاء العالم" .إن العمل الحالي لقوة المهمات المشتركة في تقديم التقارير مباشرة إلى القادة مباشرة إلى قادة القيادات الجغرافية الموحدة لا يسهل أي من هذه الفعاليات الحاسمة المتعددة الجنسية وبين الوكالات .وزارة الدفاع ليس امامها غير تأسس آليات قيادة وسيطرة بديلة لتولي وإسناد نشاطات الحرب غيرالنظامية عندما لا

يُحتاج إلى قوة المهمات المشتركة لتولي العمليات القتالية الرئيسية .يقترح مفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية ثلاثة من مثل هذه الآليات:أ- توسيع مفهومقوة الوكالات المشتركة للمهمات يُستخدم اليوم للعمليات المضادة للمخدرات ليؤقلم الأوامر الثانوية الموحدة وقوة الوكالات المشتركة للمهمات مع مهمات الحرب غير النظامية. هذا الإقتراح "يعين الموظفين لمقرات القيادة التابعة للقيادات الإقليمية الثانوية الموحدة أو قوة الوكالات المشتركة للمهمات،وليس كقسم من مجموعة التنسيق بين الوكالات المشتركة، بل كأعضاء مكملين من مجموعة القيادة والأركان للمساعدة فيتزامن وتكامل النشاطات وعمليات العناصر الملحقة للوكالات الحكومية المشاركة ضمن مناطقهم العملياتية.

ب- تأسيس فرق المساعدة الإستشارية بين الوكالات على المستويات الحكومية الثانوية . هذا الإقتراح" يُعين الموظفين لفرق المساعدة الإستشارية بين الوكالات المُنظمة مع السلطات السياسية الإقليمية الثانوية مثال على ذلك الناحية القضا القضائية ضمن البلاد المُهدَّدة .هذه الفرق تتعاون مع السلطات السياسية المدعومة لمزامنة وإكمال نشاطات وعمليات الوكالات الحكومية مع السلطات المحلية المدعومة .تُقدم هذه الفرق التقارير إلى رئيس البعثات الأمريكية في البلاد أو إلى القائد العسكري الأمريكي في المنطقة المحتلة، حسب الحالة المعينة." ج- توسيع استخدام المجموعات العسكرية الأمريكية: وهذا الإقتراح يؤسس شبكة من الموضوعات العسكرية الأمريكية، تجاور أو في كل البلدان التي لها الأولوية، لإدارة ودعم نشاطات الحرب غير النظامية تحت التوجيه العملياتي لرؤساء البعثات الأمريكية المسؤولة عن تلك البلدان.

ستختلف هذه المجموعات العسكرية الأمريكية بشكل ملحوظ عن منظمات التعاون الأمني الحالية، فسيكون عندها بالإضافة إلى الإثنين والعشرين عنوان لوظائف المساعدة الأمنية، عشرة عناوين منها إضافية للسلطة مشابهة لتلك التي كانت عند الموعات العسكرية الأمريكية أثناء فترة حرب فيتنام وبضمنها السلطة لإدارة العمليات القتالية وإتخاذ الإجراءات للدعم الحربي الأمريكي ودعم الخدمات القتالية للوكالات الحكومية الأخرى وقوات الشريك الأمنية.

12- تخطيط وتحضير الحرب غير النظامية .عرف اللاعبون الحاجة إلى نوع مختلف من التخطيط، فترة التحضير والتقييم للحرب غيرالنظامية .كما عرفوا بأن الحرب غير النظامية هي شكل" فوضوي "من الحرب الذي لا يُضيف لنفسه صيغ نظيفة أو نتائج متوقعة .وقد كافح المشاركون في تمارين البحث عن الطريد من أجل إتخاذ النظرة الملائمة للمشكلة الظاهرة غير النظامية التي يواجهوها .إعتبر العديدمن المشاركين المدنيين عملية التخطيط منمقة وصارمة.وقدصرحوابأن الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية بشكل خاص، لها عملية تخطيط أكثر ديناميكية، اشتقت من الطبيعة السياسية

والثقافية للعملية الوكالات، وهي تختلف في عملية التخطيط العسكري، العوامل لمزيد من الغموض وأهداف المدى الأطول لسنوات وليست شهور.

13- غموض الحرب غيرالنظامية.تحديات بناء حملات الحرب غيرالنظامية تُظهر بوضوح المضايقة والتشويش اللذان يتعرض لهما لاعبو قوات الأغراض العامة عندما يُجبرون مع ذلك الغموض المتأصل، على الصراع في الحرب غير النظامية .حين يوافق اللاعبون عموماً على أن الأفكار التي قدمت في مفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية كانت صحيحة ومركزية على تمارين الحرب المستقبلية، فهم يصارعون طبيعة هذا الشكل من الحرب،خصوصاًعندما لا يكونوا قادرين على تبيان الخطر المرتبط بمختلف المفاهيم غير المباشرة.

14- السكان كمركز للعمليات .أقرَّ المشاركون في تمارين البحث عن الطريدة فكرة أن الحرب غير النظامية يجب أن تكون موجَّهة للسكان ولصالحهم وإن تلك النظرات التقليدية للحرب لا تلاءم هذه الفكرة بالكامل.

15- إستخدام المجموعات العسكرية الأمريكية لإدارة وإسنادالحرب غير النظامية . إستخدام المجموعات العسكرية الأمريكية كبديل لآليات القيادة والسيطرة للحرب غير النظامية كان الموضوع المُتكرِّر أثناء سلسلة تمارين الحرب- البحث عن الطريدة٢٠٠٧ و٢٠٠٨ . وافق المشاركون عموماً على أن إستخدام المجموعات العسكرية الأمريكية مع سلطات قانونية ومالية محسنة، له فوائد متميزة عن إستخدام القوات المشتركة عند إدارة أو إسناد نشاطات الحرب غير النظامية أثناء غياب العمليات القتالية الرئيسية.

16- الأهمية الكبرى للإتصالات الإستراتيجية في الحرب غير النظامية المُتَّجهة للسكان . تعتمد هذه النشاطات على البلورة المُبكرة للرواية المُقنعة التي يتجاوب معها كل السكان المعنيين، تشريع رسائل وأعمال الحرب غير النظامية الصديقة وتكذيب رسائل حرب الخصوم غير النظامية وأعمالهم في قلوب، وعقول، وروح السكان المعنيين.

إحدى أكثر الأفكار العميقة التي ظهرت أثناء تمارين الحرب- البحث عن الطريدة -كان مفهوم الرواية التي قدمها الدكتور مايكل فلاهوس من جامعة جونز هوبكنز .الرواية هي القصة التي يستخدمها طرف في صراع مسلح لتوضيح وتبرير رسائله وأعماله، كي تصبح شرعية وملائمة في قلوب، وعقول، وروح السكان المعنيين .ووفقاً للدكتور فلاهوس، فإن النجاح الإستراتيجي في الحرب غير النظامية يتطلب الرواية التي لا تُكذب وتُناقض روايات الخصوم فقط، ولكنها كذلك تقدم البديل الذي يُقنع على الأقل السكان المعنيين كروايات الخصوم .تصبح الرواية الأساس العاطفي، والثقافي، والروحي لكل سياسات، إستراتيجيات، حملات، وعمليات الحزب أو الطرف، ومن هذه الرواية يجب أن تتدفَّق كل الرسائل والأعمال التي تهدف إلى البقاء جاهزين للعمليات وتحقيق الرواية.

الحروب الشعبية واغتيال الأجيال

بتنا في عصر جاوزت فيه سرعة صاروخ كروز 16 ألف كلم / ساعة، وكما أن التقنيات العسكرية بدأت تنتقل في بحوثها إلى عملية نقل الأسلحة من القتل بالحرارة إلى القتل بالأشعة، وهذا يترتب عيله آثار كبيرة على مستوى التفاوت في القوة بين الدول التي تسمي بالعالم الثالث وما يسمى العالم المتقدم، فاستخدام الأشعة بدل الرصاصة والقذيفة والقنبلة في منتصف القرن ال21 يعني أن جميع الأسلحة التي لدينا لم تعد ذات جدوى رغم ما انفق عليها من مليارات مملايرة،انه في ظل هذا التقدم ستغدو الأسلحة المكدسة لدى جيوش العالم الثالث مثل ألعاب الأطفال بعد إن تصبح الأشعة هى السلاح الجديد أو حين استخدام ما بات يعرف بالقنبلة النيوترونية المخصصة لقتل البشر، فهي قادرة على قتل البشر في حين لا تحدث أي ضرر في البنايات والمنشآت العامة لدى انفجارها. أما إن تم الحديث عن حرب النجوم والتي يخال البعض لدينا أنها جزء من الترف العلمي وان لا علاقة لها عسكريا بما يحدث على الأرض فان الفجوة تتقدم اكثر فاكثر فاختراع وسائل الاتصال اللاسلكي وتقدمها عائد إلى الوصول إلى سطح القمر. وهذا يعني وجود رقابة شبه كاملة من قبل كبريات دول الغرب على كل أنواع الاتصال في العالم عبر مرورها بمصفاة في القمر الصناعي، وهذا الأمر هو ما دعا الولايات المتحدة الأمريكية عبر جناحي مخابراتها إلى التفكير في الاستغناء عن تجنيد العملاء مقابل هيمنة تكنولوجيا التنصت في عمليات التجسس، إلا إن أحداث 11 سبتمبر أثبتت انه مهما بلغت التكنولوجيا من تطور فإنها لن تستطيع التخلي أبدا عن دور الإنسان في عمليات التعقب والرصد، وهي المعادلة التي يعيها الصهاينة جيدا. وكل من يتجاهل دور التكنولوجيا في حسم الصراع هو شخص يعوم في بحر من الخيال ولكن هل هذا يعني أن المقاومة، أو الحرب الشعبية، أو حرب العصابات ستغدو أساليب تحت التحكم، قبل الحكم على ذلك لا بد من مراعاة بعض الملاحظات :

- في القرن الحادي والعشرين، احتلت الولايات المتحدة الأمريكية العراق بسرعة قياسية، تماما كما هو معتاد لدى الإمبراطوريات الكبرى، وبعد إعلان السحق الكامل للعدو من قبل عصبة البيت الأبيض، غرق الأمريكيون في مستنقع الحرب ضد مجهول، القتلى باتوا يسقطون بشكل يومي، الضرب في كل أنحاء الجسم المهاجم، الرعب حتى من القطط، ببساطة سقطت أسطورة الانتصار في بحر متلاطم من المجهول أو المخزون الشعبي،

- في القرن الحادي والعشرين، حدثت أحداث 11 سبتمبر، وعلى صعيد تكنولوجي فهي

-يحمل عدة معان : الاستغلال المعاكس للتكنولوجيا من قبل فئة من الشبان لم يشعروا بعجزهم تجاه التكنولوجيا حين نظروا في سماء الولايات المتحدة فوجدوا انه في

أية لحظة يطير في سماء الولايات المتحدة 5000 طائرة، يهبط في مطار شيكاغو على سبيل المثال طائرة كل 30 ثانية، كل ما راودهم هو كيف سيستغلون هذه التكنولوجيا في تحقيق أهدافهم، ونجحوا في ذلك، كما أن هذه الأحداث أثبتت فشل كل تكنولوجيا التجسس، لأنه بكل بساطة سلطة هذه التكنولوجيا على من يستعملها، أما إن وجد من أحجم عن استعمالها ولجأ إلى الطرق البدائية في الاتصال فانه يحيد بذلك كل هذه التكنولوجيا.

- هناك العديد من السائل البدائية المبتكرة أو التي يمكن ابتكارها عند الحاجة تضعف أو تبطل مفعول هذه التكنولوجيا الغرورة، فعلى سبيل المثال يذكر انه خلال الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان كانت دبابات المركفاه محصنة ضد قذائف أر بي جي حيث تصدر الدبابة إشعاعات تفجر هذه القذائف قبل انفجارها، ولكن عندما قامت المقاومة بطلاء القذيفة ب" الزفتة " لم تستطع هذه الأشعة إبطال مفعولها، وهذا مثال بسيط والتجارب الشعبية كثيرة ومتراكمة.

- تتمتع قوى المقاومة الشعبية بالقدرة على المباغتة والتخفي، إضافة إلى أنها لا تمتلك مواقع ثابتة تكون أهداف للعدو، كما أنها تملك من المرونة ما يكفي للتأقلم مع الظروف كافة. وعادة فان القوى الشعبية تقاتل على ترابها وهو ما يضفي إليها ميزة يفتقر إليها الخصم.

- إن وجود شعب يقاوم في ظل ابتعاد قوى المقاومة عن استخدم أنواع معينة من التكنولوجيا سيما على صعيد الاتصالات يحيد هذه التكنولوجيا بشكل كبير ويحجم من قدرة العدو في استعمالها سيما في ظل وضع دول يتحدث إلى حد ما عن حقوق الإنسان

- إن وجود التكنولوجيا يستدعي بالضرورة وجود قوى تعمل على إجراء أبحاث تبطل أو تضاد هذه التكنولوجيا، الصواريخ – صواريخ مضادة، الرادار – أجهزة تشويش، وهو ينطلق من انه لكل شيء مهما بلغت قوته نقطة ضعف.

- إن العنصر البشري سيبقى هو العنصر الحاسم في جميع الأحوال وعند تصارع الارادات فلا شيء يمكن أن يقف في وجه إرادة الشعوب.

كثير ما يمكن أن يقال في هذا الجانب فما هذه النقاط سوى مؤشرات قليلة، وهذا ما يفسر الحساسية البالغة التي تبديها دوائر السياسة الأمريكية عند الحديث عن ثورة، انتفاضة، حرب عصابات، حيث يتعرى في أذهانهم القوة التي لا يمكن لهم أن يجابهوها، والسلاح الذي يخشونه ولا يجدون إليه سبيلا. وعليه فان كل من يعتبر أن الحرب الشعبية هي سلاح من الماضي، وان المقاومة والتي توصف أسلحتها بالبدائية، وهي بالفعل كذلك قد فات أوانها عليه أن يراجع نفسه وينظر كيف تقاوم الشعوب في القرن الحادي والعشرين.

انتشار الإباحية كأيديولوجيا

أحيانا يرغم بعضنا على الدوران في فلك قضايا معينة، بينما على البعض أن يتجاهل قضايا أخري. فنسأل عن عدد مرات التعرض للإيذاء، ولكن ليس عدد مرات الإجهاض التي تمر بها امراة مثلا. نناقش الضغوط التي تنشأ عن توقعات الوالدين والزيادة في المصروفات الدراسية، ولكن يتم تجاهل مخاطر الانحلال الجنسي وحساسية مواضيع الخصوبة في المدارس. نجاهد لمكافحة الانتحار، ولكن نتجنب المناقشات حول وجود الله. وتخطئ النساء عندما يعتقدن أنهن مثل الرجال في أنه بإمكانهن تأجيل الحمل إلى مالا نهاية.

هناك ملايين الطلاب في المدارس والجامعات يمرون بمرحلة المراهقة والتطور الإنساني، وسهولة القولبة. يعانون من الارتباك وهم في مرحلة خطيرة، يتساءلون عن ماهيتهم وما يريدونه. آخرون لديهم مشكلات بيولوجية واكتئاب وشيزوفرانيا واعتلال قهري وإدماني. هناك خطر قابع في الحرم الجامعي والمدرسة يستحق اهتمامكم. وللأسف يتم تسييس الحقائق، إنه أمر خطير لأن أطفالنا يحرمون من تلقي الحقائق التي يحتاجون إليها لاتخاذ قرارات صائبة ومدروسة، بينما يتم تبني ممارسات بشكل خاطئ. فليس من الأخلاقيات المهنية الترويج لأجندات اجتماعية معينة اثناء تقديم الخدمات المختلفة خاصة الصحية والنفسية والخيرية منها.

وفكرة المثليين زلزال آخر يضرب قيم المجتمعات. فالتغيير الاجتماعي الذي ينشده هؤلاء عميق، هم يأملون في إحداث زلزال ينقض على دعائم حقيقية وعلمية وحضارية ودينية. تحطيم فكرة أن الجنسين مختلفان بشكل عميق وجذري، تهدف إلى إنتاج ثقافة مخنثة، حيث يتم التبرؤ من الاختلافات بين الرجال والنساء أو تستبعد من الحسبان، بحيث يتلاشي تفرد كل منهما. إنه لأمر سيء أن يتم الترويج للتخنث والتعدد الجنسي والجنس البديل والجنس الكاجوال. سلوك التدخين يؤثر على كل المحيطين بالمدخن، فالطلاب يؤثرون في بعضهم البعض. كما أنه كثيرا ما نشرح لأبنائنا وبناتنا حياة أصدقاء السوء والوقاية منهم ولا نهتم بشرح كيفية حماية قلوبهم وعقولهم من هوس قصص الغراميات الكاجوال في الجامعة والمدرسة. نكاد لا نبحث في كيف أن تلميذ يأخذ مصروفه يجعل فتاة متيمة به؟ وعندما تناقشها تقول لك إنه رجل شهم وطيب وخلوق ولديه شخصية وهو قد يفعل معها ما لا يصدق. ومن أجل السيطرة على قبلها والضغط على عقلها تصبح مصابة/مولعة به، لدرجة أنها تذكر محاسنه ولا تدري شيء عن أخطاءه ومشاكله وأنه مجرد تلميذ لا يصلح في هذه المرحلة إلا أن يكون طالب للعلم والتعليم.

في الحقيقة لا الفتاة تحبه ولا هو يحبها، لكنهما يرغبان بعضهما، وهنا يصابا بضياع الوقت معا والابتعاد عن الدراسة والتركيز فيها إلى أن يصلا إلى ممارسة الجنس الكاجوال

وقد يتطور الأمر لتعدد الممارسة بعد أن يفيقا ويتجه كل منهما إلى علاج الرغبة بالرغبة أي يتجه كل منهما لطرف آخر يحبه ثم يمارس معه الجنس. لكن هؤلاء الشباب والفتيات ناشطون جنسيا ومحتمل أن يصابوا بالاكتئاب ورومانسية المراهقين. وأعني أنهم في حاجة كبيرة من الوالدين للتركيز معهم ومع حياتهم الشخصية من خلال صداقتهما من قبل الوالدين وتأهيلهم للحياة المدرسية والجامعية توجيههم نحو المكتبة المدرسية أو الجامعية والموهبة والنجومية في لعبة رياضية أو غيرها والتخلص من سلوكياتهم المدمرة عاطفيا. تماما كما نرشد مريض السمنة ومدمن النيكوتين إلى أنظمة الحِمية وممارسة التمارين الرياضية والإقلاع عن التدخين. والتاكيد على التبعات السلبية لثقافة كل شئ يجوز وثقافة المصاحبة سوف يهدد مبدأ مساواة النساء بالرجال. سوف يقوض مملكة الجنس الأكثر أمن. وفي مدننا الجامعية تغيب القدسيات كثيرا في ظل التفاعل الطلابي بمختلف توجهاتهم. فعلي سبيل المثال يجب أن تكون مدن جامعاتنا خالية من التدخين، أي منع التدخين في جميع المناطق العامة في الجامعة بما فيها مسكن الطلاب والسلالم والحمامات.

الطالبة يتعرف عليها الطالب ثم يجلسان معا فتجده شخص مقبول فيتطور الأمر للخروج سويا وغالبا يتطور الأمر لأن يمسك يدها تحت إبطه حتى يصل الأمر للممارسة الجنسية. وهنا تتصور الطالبة أن الحياة بدونه صعبة، ما الذي يقف وراء ذلك؟ قد يكون هرمون الاوكسيتوسين.الذي يجعل المرأة تتعلق برجل ما. فالهرمون يرسل من الدماغ إلى الرحم والثديين لاستشراف الحمل وإدرار اللبن. وهذا يعني أن في مواد كيميائية كالاوكسيتوسين مسئولة عن التورط في تكوين الروابط، فعند حقن أنثي الفأر بالاوكسيتوسين نشات رابطة بينها وبين طفل فأرة أخري وتقوم بحمايته كما لو أنه طفلها هي. وهذه الكيماويات والهرمونات يتم إفرازها أثناء النشاط الجنسي. وهذا يعني أنه هذه الهرمونات والكيماويات التي تجري في عروق طالبة ما وهي في صحبة طالب ما يجعلها تشغل بالها بالارتباط به، وهنا يسهل له السيطرة عليها والتحكم في مشاعرها وغريزتها. ومع الوقت لا يتطلب الأمر إلا رؤية هذا الرجل لإطلاق نفس المركب الكيميائي في الدم. إنها فريسة لهجوم مشاعر ارتباط معذّبة. ليس هذا فقط فقد يكون لطبيعة الطالبة والطالب البيولوجية استعداد قوي لذلك. كل هذا دون أن يدركان أن أمراض ممارسة الجنس غير الآمن (وأقصد الزواج) تعدت ال25 مرض. تعليم الفتاة رفض السيجارة والكحوليات يعني اعتنائها بنفسها وأنها شخصية مسئولة وقادرة على ضبط النفس. إنها اذا شخصية تتميز بشخصية قادرة على وضع أهدافها طويلة المدي في عين الاعتبار بدلا من الاستسلام للضعف والضغط ولرغبة الاستمتاع اللحظي. إن وجود 15 مليون حالة من الأمراض المنتقلة جنسيا في العام، يبدو الزواج أو تاجيل الجنس كنصيحة طبية

منطقية، غير ذلك فإن المستقبل يبدو كئيب. على الشباب والفتيات ألا يصبحوا أغبياء أو عبيد لرغباتهم. يرفضون الرسائل الشهوانية التي ترسم ملامح ثقافتنا.علي الشاب والفتاة اللذين يحبون بعضهما بحق وليس رغبة تعلق مؤقتة أن يضبطا نفسهما ويبحثان عن الصون والعفة لبعضهما والربانية في حياتهما والزواج طالما الحب حقيقي. وطالما بحثهما عن معني الحياة وهدفها ناضج بقلب كل منهما. إن التدين والتفاؤل والتسامح يزيدان من عمر الإنسان ويجعلان صحته أفضل بكثير من غيرهم. ولكن للأسف نظرة كثير من علماء النفس للدين خاطئة وقصيرة الإدراك. ومن هنا أدعو علماء النفس إلى تمالك أنفسهم. فتجنب الدين والجوانب الروحانية في علاجاتهم أمر غير عقلاني وربما غير أخلاقي وغير عصري.عندما يستبعد علماء النفس هذا البعد الإنساني التكميلي للبشر، فهم يرتكبون خطأ كبير.

لا أود الحديث عن الشواذ بشكل مسهب لأنه عندما اتحدث عن ممارسات الجنس غير الشرعية (وفق القانون والدين) فهذا نموذج للحديث عن ممارسات الجنس الشاذة. وما أوده طرق أبواب هذه المخاطر على الأقل التي يمكن حلها، أما الشذوذ والسحاق وما شابههما فهذه حالات يتولاها الله بأمره.

الصداقة بين الشعوب كبديل لبؤس الإنسان

جميع شعوب الارض في مهب العاصفة بشكل أو باخر سواء كنا اغنياء او فقراء. ورغم ذلك لا نكف عن الصراعات والحروب والمشاحنات فيما بيننا ومع الطبيعة غير آبهين بتعاظم مخاطر الحياة. فرغم شعور الكثيرين السلبي في العالم تجاه الولايات المتحدة في العالم، إلا أني اشفق على الشعب الأمريكي.فبعد أن صرعت دولتهم خصمها السوفيتي، وجدت نفسها تخوض غمار مشروعات هائلة تنهكها وتدفع بها إلى أمواج متلاطمة وتيه كثيرين:ان تروض بمفردها تقريبا كوكب يستحيل ترويضه او الهيمنة عليه.حتي الصين نفسها التي تصعد بسرعة كبيرة لديها العديد من المخاوف واسباب القلق،وذلك انه اذا كانت طريقها في مطلع القرن مرسومة-مواصلة نموها بلا هوادة إلى جانب الحرص على التماسك الاجتماعي والوطني- فان دورها المستقبلي كدولة كبرى سياسيا وعسكريا تكتنفه مخاوف خطيرة بالنسبة اليها بالذات،كما بالنسبة إلى جيرانها والي بقية العالم ايضا.واتذكر تعليق السفير الصيني في القاهرة عندما قال لي ان الصينلديها مشكلات ومخاوف كبيرة وكثيرة.

استخدام الغرب للجماعات المتشددة من الشرق ضد الاشتراكية لم يكن تحالف حقيقي وانما كان مجرد تلاق تكتيكي لمواجهة خصم مشترك.لكن هذه الجماعات ظهرت وكانها تتبني المطالب الاجتماعية والوطنية مع بقاء الخطاب الاسلامي في سبيل استقلال تقليدي ومع بقاء الخطاب الاسلامي مرتكز على التطبيق الحسي لتعاليم الايمان.واستغَلت واستغِلت الجماعات الاقل عنف في الترويج للمبادئ الغربية من ديموقراطية وحرية وليبرالية..الخ.في خطابها للعالم وللداخل،بينما استخدمت الدين والديموقراطية والحرية..الخ.في خطابها للداخل.وفي جميع الحالات الجماعات الدينية خادم في بلاط المخابرات الدولية او المحلية.وبالمثل كان الديموقراطيون اليمينيون والشيوعيون،الذين تحالفوا ضد النازية في الحرب العالمية الثانية بأوروبا،امسوا اعداء منذ 1954،كذلك منطقي انه عند انتهاء الحرب الباردة يتواجد الغربيون والجماعات المتشددة في صراع بلا هوادة،او يستغل الغربيون الجماعات ضد دولها ومواطنيها في اراضيهم وباموالهم وبايديهم.وهي تكاد تكون قاعدة غربية (ان من يقدم خدمات عسكرية او مخابراتية للغرب او لاحدي دوله فمصيره الموت او يستغل في موت اقرب ماله).حلفاء الامس افغانستان وامريكا ضد الاتحاد السوفيتي يصبحون في خصومة بعد ذلك.

كان حاكم طاغية اثخن شعبه بالجراح وبذر اموال النفط في نفقات عسكرية وغزو جيرانه/اخوانه،وقبل ان ينهار دون قتال حقيقي،حتي غرقت البلاد في فوضي وراحت الطوائف تتناحر وتتذابح.انظروا للمغزي (كان لابد من حكم ديكتاتوري لضبط شعب كهذا) اي ان الدول الاسلامية لا تصلح للديمقراطية.واذا قبلنا بالعكس فيمكن تفسير

الاحداث انه كان حصار اوقع شعب كامل في بؤس واودي بحياة مئات الالاف من الاطفال والمدنيين دون ان يحرم الديكتاتور من تدخين سيجاره.ثم كان غزو تحت زرائع كاذبة ولم يابه للراي العام ولا المؤسسات الدولية.كان الهدف السيطرة على النفط،لكن الامريكان قرروا حل الجيش واجهزة الدولة،وادخلت الطائفية صراحة إلى الدستور وقلب المؤسسات.بالاضافة إلى السجن والتعذيب،بينما الاضرار الجانبية ظلت بلا عقاب او رادع.كل من الخطابين موجه لجمهوره.حضارة اصبحت عالة ومبعث فوضي للعالم.فألا نبني حضارة مشتركة تزيد من اثراء البشرية وتنوعاتها الثقافية،قبل ان نغرق في افعال شيطانية مشتركة؟. الدول الاسلامية لدي معظمها فقر وعي والدول الغربية لدي معظمها ميل لتحويل وعيها إلى اداة للسيطرة.فالغرب لديهم ماساة القيام بدور كروي مبالغ فيه وباتوا غير قادرين على المضي في ممارسته بشكل كبير،وفي ذات الوقت عاجزون عن التخلي عنه.وللحقيقة لا نستطيع ان ننكر عطاء الغرب للبشرية اكثر من حضارات اخري.حتي بالغ البعض ان نهاية التاريخ تجعل العالم يذوب سلميا في قالب الغرب،وكأن الغرب العذراء الطيعة التي يحلم بها الايديولوجيون.ماذا لو دعم الغرب/امريكا الديموقراطية الحقيقية في دول العالم بدلا من دعم الظلاميين من الجماعات الدينية في الشرق-كمثال- والانظمة الاستبدادية؟بالتاكيد الاجابة كان الغرب والعالم اكثر امان وسلام ونهوض،ومن باب طباخ الاكل الذي يتذوقه،ألا من هؤلاء- المستبدون- ان يشاطروا حاميهم بعض القيم التي يقدسها هو؟.معني هذا ان توجه معظم الدول الكبري اقرب للتحالف مع قوي التخلف لعمل تسويات وحقول تفاهم ومصالح ائتلافية. ومأساة الغرب قديما وحديثا تكاد تكون واحدة،حيث كان على الدوام حائر بين السيطرة على العالم ومحاولات بث ثقافته وتمدينه فيه.وهذان الامران لا يمكن الجمع بينهما، تنافر سخيف ان تتحدث عن انبل المبادئ،وتحرص على الامكتناع عن تطبيقها في الاراضي التي تغزوها.وللحقيقة مثلما هناك تشدد اغلبه من الشرق هناك غطرسة من الغرب،فالجيش الامريكي احتل بلد عريق كالعراق ثم استغل صراعاته الطائفية.وكل هذا باسم الحرية والديموقراطية،وراح يقتل ويهدم رافعا شعارات حقوق الانسان.ثم ما يلبث ان يقتل اكثر من 700 الف قتيل وينسحب دون ان تصدر عنه كلمة اعتذار ولو حتى غامضة.افق اكثر من 3 تريليونات دولار،لكن البلاد التي احتُلّت افقر من ذي قبل.قرروا ان يحاربوا الارهاب فازداد وازدهر.

البعض منا ينظرون إلى الماضي بتعال لا مبرر له اذا ما نظروا إلى سلوكياتهم الراهنة.وصحيح ان البشرية حققت تقدم جيد ماديا،بينما الجانب الخلقي لم نحقق الا القليل.في حين كان يجب ان نحقق في كلا الجانبين نفس الايقاع.وهذا البطء الخلقي يجعلنا لا نستطيع ان نواجه كثير من ازماتنا ومشكلاتنا.وليس السؤال ذاك الذي يريد

معرفة ما اذا تقدمنا سلوكيا على اسلافنا،وانما الاهم معرفة ما اذا كانت تقدمت بما يكفي لتسمح لنا بان نجابه تحديات الحاضر والمستقبل الهائلة.

فالماضي ملئ بالاخطاء السياسية الفظيعة،واليوم تصدر لنا مشكلات اشبه بمشكلات الماضي لكن بشكل احدث وبشكل مختلف قليلا،لكنه يحمل نفس الاهداف تقريبا.فقد تم نشر فكرة كيان جغرافي قومي ولم تنجح الفكرة بشكل كبير،بل وجدنا دول عربية عديدة ترفض الفكرة ورسولها جمال عبدالناصر،ومن قبله الامير فيصل بن شريف ومن بعده معمر القذافي وصدام حسين ومعظم العرب،دون ان يفكروا لحظة ان الفكرة تعجز عنها العماليق في تلك الفترات.تلك المغامرات ما كان يجب القيام بها،والتركيز على التنمية الاقتصادية واستدامتها.لكن للحقيقة تلك المغامرة كانت غير عبثية غداة الحرب العالمية الاولي.فقد كان العرب خارجين توّاً من العهد العثماني الذي تواجد في جو منسجم مع ذلك الزمن.فالوحدة الايطالية انجزت في 1861 على يد كافو والوحدة الالمانية في 1871 على يد بسمارك،فلماذا لا تكون الوحدة العربية مستحيلة؟.في ظل الاحتلال كان امر الوحدة العربية غير معقول.وبعد هزيمة العرب المتاخمين لاسرائيل في 1948 رفضو توقيع الاعتراف بها،لكنهم اضطروا مرغمين على توقيع الاتفاق واحد تلو الاخر فكانت نهايتهم ايضا بعد توقيع الهدنة واحد تلو الاخر.فقد قامت الثورة السورية بعد التوقيع بشهر وسقط ملك الاردن مقتول بعدها بخمسة اشهر وقامت ثورة في مصر عام 1952.وفي غضون 4 سنوات كان جميع الموقعين على الهدنة خارج الحكم او الحياة.وبالنسبة لجمال عبدالناصر فقد فتحت على قوميته كل الجبهات دول النفط واسرائيل والاوساط الليبرالية والاخوان.وبنكسة 1967 وقع عبدالناصر في فخ الاعداء،ولم يحسن حتى مجرد تحاشيه.انا لا اهاجم عبدالناصر الذي يحلم الكثيرين ان ينالوا حب الناس مثله في اوقات كثيرة،ولكني اتناول سياسات كان يمكن اتخاذها بشكل مختلف اراه الافضل لنستفيد منه في حاضرنا ومستقبلنا. لو توجه ساستنا في الماضي للاعنف والتنمية الاقتصادية المستدامة والمؤسسات السياسية العصرية لما كانت هناك على الاقل جماعات متشددة ومحاولات خصخصة للاديان تجزئ المجزأ.ففي بدايات القرن ال20 شهدت دول عربية حياة برلمانية وصحافة وتنمية اقتصادية تحمس الناس لها،لكنها انقلبت لاحتلال ولانظمة طغيان واستبداد.لكن القوميون انفسهم دائما ما يفتحون فجوة يستفيد منها خصومهم.فتبوء المشاريع القومية حتى مع الدول المؤمنة بها بالفشل.وتوجت التجربة بنكسة نكراء في 1967 امام دولة عمرها 20 عام وعدد سكان وجيشها اقل من مصر عشرات المرات.ولم تنته فكرة الوحدة الكاملة والشاملة الفجائية بكارثة في مصر وضد جمال عبدالناصر فقط،بل في كل دولة قام رئيسها بتنفيذ بداياتها،وصدام حسين ومعمر القذافي أمثلة واضحة. لقد كانت فكرة القومية القائمة على

الاشتراكية في صلبها شرخ داخلي كبير. والنتيجة الاكبر كانت في صالح اطروحات الاسلامايين ومشروعاتهم،حيث تقبلتهم الجماهير لفترة ما نتيجة تقديمهم مشروع بديل بصرف النظر عن صحته وقوته.وبالمثل فشل المشروع الاسلاموي ايضا لانه ايضا فكرة مستحدثة من فكرة عربية تقليدية،ومثلما اخطات القومية من اتخاذ الاشتراكية صلب لها في الخطاب اخطا الاسلامايين في اتخاذ الليبرالية صلب لهم في خطابهم.فما كان الا تحول الثورات العربية او ربيعها إلى خريف وحروب وصراعات اقليمية ومحلية.وللاسف حكم جماعة الاخوان فشلت ترجبته في السودان الذي مني بالتقسيم وفشلت في فلسطين بصراع حماس مع فتح،لكن الشعوب العربية تقوم بما يشبه الضحكة الصفراء او بتجريب المجرب حتى تتعلم.

ورغم بعض النجاحات الا ان القرن العشرين في الدول العربية غدا متخم بالهزائم والاحتلال الاجنبي والمعاهدات غير المتكافئة والاهانات والخجل.كان العرب في القرن ال20 يحتلون مربع شطرنج ثم يخلونه تحت ضغط،وللاسف في ذات الوقت يفتحون العيون الغربية عليه.ويخسرون قطع كبيرة احيانا،وفي نهايات القرن العشرين وبدايات القرن ال21 وجدنا ان الملك مات.ما اود التنويه اليه ان الوحدة العربية ليس امامها افضل من سيناريو الاتحادات الاقليمية اولا(كاتحاد دول الخليج واتحاد دول المغرب..الخ) اما الوحدة المباشرة فمصيرها مصير جميع المحاولات البائسة ولن تجر الا الوبال علينا كسابقاتها.

كان يجب ان يبادر جمال عبدالناصر بقرار الحرب قبل اسرائيل بعد الاعداد الجيد والتواصل والدعم الاكيد من الدول العربية والاسلامية(الاقليم برمته) لان حربه ضد اسرائيل ليست حرب من اجل مصر،بل من اجل كل دول المنطقة والعالم.لكنه ركز في ردود فعل الدول الكبري،خاصة الولايات المتحدة التي اوعزت بدورها لاسرائيل بمهاجمته.ونجح فيما نقوله انور السادات في 1973.وخسر لبنان والفلسطينيون عدم اشتراكهم في الحرب مع مصر وسوريا ضد اسرائيل،علي الاقل لخسر لبنان وفلسطين اقل مما خسروا بعدها.فلو اشتركوا لما احتاجو لحزب الله ولما توسعت اسرائيل واحتلت المذيد من اراضيهم فيما بعد.ان اي قرار بشان العرب طالما وافقت عليه الدول العربية،يمكن اتخاذه حتى لو كان ضد الغرب او رأيه ومصالحه.بعدها سيجبره الامر الواقع ومصالحه نفسها على قبوله مع الوقت.نجح السادات فيما اخفق فيه عبدالناصر-اعد له في الحقيقة-.

العالم كله يتجه للتعددية،لان وجود دولة مهيمنة عليه ظلم للعالم وللدولة نفسها(تظلم نفسها) فلا يعقل من الناحية الانسانية على الاقل ان 5% من سكان العالم (الامريكيين) يقررون مصير العالم.فكيف ان 95% تنفذ ما تقرره النسبة الباقية،انه خلل عالمي في

الادارة السياسية للكرة الارضية بشكل رئيسي.وللحقيقة لو اتيح لاي دولة كانجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي (السابق)..الخ السيطرة على العالم لفعل في معظم ما يفعله فعل امريكا،خاصة ان تجاربهم السابقة في قسادة العالم تنم عن ذلك.ان الدولة المهيمنة على العالم دائما ما يكون هذا في صالحها وتكون ايضا ضحية لذلك (برَكة ولعنة في آن واحد).

بدل تجميل الماضي وامثلته من الواجب ان نتخلص من عقده التي اكتسبناها والتي تتبدي كارثية في ظل الوضع الراهن،ولكن نحو الاعلي والاسمي.وحتي لا اكون ظالم لفكرة القومية،العالم كله شهد اخطاء فظيعة.فعلي سبيل المثال في العقود الاخيرة شهدت الارض انحرافات وتناقضات الشيوعية والراسمالية،أليس اكتوائنا كافي ليحملنا على الخلاص منها واستخلاص الدروس والخروج من هذه المآذق الموهنة ؟.واذا كنا نحرص على صون السلم الأهلي في بلداننا،وفي العالم علينا القبول بالتنوع البشري في عيش مشترك بحميمية وتناغم لا في توترات مولدة للعنف.

اما فكرة دولة الخلافة،فلم تكن كلاسيكيتها وراثية،بينما تم تطبيقها في شكل نظام ملكي دولة اموية وعباسية وعثمانية..الخ.ثم ان فكرة ان الدين والسياسة نترابطان بشكل لا انفصام له وان هذا مكتوب في النصوص المقدسة،وانه يشكل خاصية ثابتة في دين ما،نكون قد سلمنا بان الصدام الصراع لن يتوقف.واننا امام انسانيتين متمايزتين.وهذه فكرة مثبطة للعزيمة ومدمرة،لكنها تبسيطية تقريبية قبل كل شئ.ليس معني هذا خروج السياسة عن القيم الانسانية والخلاقية والحضارية،فما اردته فقط الا يكون الشيخ هو القائد السياسية والا يكون القائد السياسي هو الشيخ.بمعني اذا دخل الثابت(الدين) على المتغير(السياسة) اصبح المتغير ثابت وهذا لا يصلح لعالم السياسة ولا القيادة،والعكس اذا دخل المتغير(السياسة)علي الثابت(الدين) اصبح الدين مدعاة او لعبة في يدنا.اي ان دخول اي منهما على الاخر ليس ايجابي لاي منهما. لا اقصد الا ان اقول ان المشكلة في السلوك البشري والمؤسسات الانسانية والاخلاقية والمسيرة التاريخية، وليس المقدس الالاهي.لكن تدين القائد وتمسكه بالقيم،ومرونته وتفتحه امور مطلوبة في كل الاحوال.

والحقيقة هذه الفكرة لم تكن في الشرق فقط،بل في الغرب ايضا عندما سيطر رجال الدن على الحياة السياسية إلى ان تم الفصل بينهما،اما في الشرق فالعكس وهو سيطرة السياسيين على رجال الدين والتي ستنتهي بالفصل بينهما خاصة بعد ويلات الجماعات واستغلالها الدين في الصراع على السلطة والثروات. بما كان الاختلاف ان الغرب تحكمه كنسية بينما دول الشرق الاسلامي ليس فيها سوي الازهر وتم اضعافه من قبل الانظمة المختلفة.واتمني ان تمنح الانظمة العربية الفرصة للازهر لتحقيق الاستقرار والنهوض والاسهام في التنمية والتنوير بالاسلام والمسلمين في مختلف بقاع الارض من هنا لا

يكون للجماعات والتفسير للقرآن والسنة بشكل ضيق ومتشدد مكان يذكر او على الاقل نشر سماحة الدين ويسره وانسانياته واخلاقياته العالمية الرفعية.غير ذلك تصارع السلفيين والاخوان على السيطرة على الدول العربية والاسلامية والعالم باسم الاسلام.ولايماني باهمية الازهر الدينية للمسلمين في العالم ومحاولاتي مساعدته في العودة لمكانته، عندما طلب مني قادة برازيليين قبل افتتاح كأس العالم 2014 ترشيح من يمثل رجال الدين المسلمين في العالم قلت شيخ الازهر،فهو يقود اكبر مؤسسة دينية في العالم وشيخ لكل مسلميه.

نظرا لغياب الجوانب الانسانية والاخلاقية والتركيز على الرفاهية والمتع والتجشؤ فكانت الامبراطوريات الاوربية في القرنين ال19 وال20 امتداد للذات وتطبيق العنصرية والاخلال بقواعد الاخلاق.فعبدت الطريق للحروب الكبيرة والابادة الجماعية والانظمة الشمولية التي اغرقت أوروبا والعالم في بحور الدم.وما اود قوله هو دعوة الغرب إلى ترميم صدقيته وعلمنته ليس ندما ولا انفتاح ولا مساومة مع قيم وافدة،وانما عكس ذلك بان يبين وهو في نعيمه وقبل ضعفه انه يحترم حقا الديموقراطية وحقوق الانسان والحرص على الانصاف.وذلك في علاقته مع باقي الكرة الارضية.

و فكرة صراع الحضارات ليست نقاش حول مزايا ابن سينا ونيوتن والحجاب والكحوليات او النصوص المقدسة،وانما هو زوغان عالمي نحو كره الاجنبي والتمييز العنصري والتنكيل الاثني والمجازر المتبادلة.اي نحوتآكل كل ما يشكل الكرامة الخلقية لحضارتنا الانسانية.ان الذين يقاتلون الانسان يسقطون بدورهم،فالعنف الارهابي يولد العنف المضاد للارهاب الذي يغذي الكراهية ويعد العدة لاعتداءات جديدة.اننا جميعا كبشر في حاجات للتضامن وتضافر الجهود لاجل مواجهة الاخطار العديدة التي تهدد بان تبيد اغلب ما تم بناؤه منذ الاف السنين.

من الحرب المتماثلة إلى الحرب اللا متماثلة

تعيش المنطقة العربية والإسلامية في خضم موجة عاتية من موجات التاريخ، تهدف إلى كسر معادلات التاريخ العربي، وإعاقة استئناف مسيرته، عبر تحويل محاولات صعوده، إلى حركة هابطة، تلقيه في مهب الإنقسام، تطيح بمكوناته، بحيث يصبح حال الدول الغسلامية حال "كتلة صخرية مهولة انكسرت من الجبل وراحت تتدحرج عشوائياً على سفوحه، وهي توشك أن تنقض على الوديان والشطآن المحيطة بالجبل مهددة بدمار وخراب إلى درجة الكارثة". وتتميز تلك الموجة بتنوع وتعدد آليات ووسائل تحققها. لعل أكثرها أهمية وأشدها فاعلية هى الحرب اللامتماثلة أو اللامتناظرة. وقد جاء هذا المصطلح استجابة لأيديولوجية الإحتلال الجديدة، أيديولوجية ما بعد الحرب الباردة، وسيادة الليبرالية المتوحشة، كما صاغها فرانسيس فوكوياما في أطروحته نهاية التاريخ وصموئيل هنتجتون صدام الحضارات.والحرب اللامتماثلة مجال من الإعداء لا يتضمن تشخيصاً للهدف أو الخصم، بل يتطرق إلى القيم وعلاقاتها بالتكنولوجيا، وإلى مساحات من الجغرافيا السياسية "مثل جغرافية الدول الإسلامية. وتقوم هذه الحرب تُخاض وفق مفاهيم عسكرية-اجتماعية-ثقافية، تستهدف أشكالاً كثيرة داخل مجتمع ما. غني عن البيان أن الحروب غالباً ما تؤدي إلى تبدلات فكرية تطال النسق الثقافي، فضلاً عن البنية الإجتماعية، مثلما حدث في تركيا بعد الحرب العالمية الأولى. فالهزيمة هي انكسار حقيقي للنظم المعرفية التي يستند إليها المهزوم (أو من يجب هزيمته)، وبهذه الصورة فإن الحرب اللامتماثلة تلامس عمق الأمة الحضاري-الثقافي، وكذلك الشكل الاجتماعي للثقافة، لاسيما أن الدول العربية والاسلامية – كمثال- هي الطرف الوحيد على مستوى العالم الذي لم يغير تموضعه التاريخي رغم ما لحقت به من هزائم في القرن العشرين، لما يمتلكه من عمق تاريخي، وغنى في التجارب التاريخية. وهذا يذكرنا بمقولة اللواء الإسرائيلي موشي يعلون عن"كي الوعي" ومحاولات تهويد المعرفة والعقل العربي، من خلال عملية التطبيع الثقافي والديني.

وفرضت نهاية الحرب الباردة كما العولمة على الولايات المتحدة، وتحت وطأة غرور القوة ووحشية الإعلام والإفتقار إلى حكمة التجربة، إعادة تقويم الموقف والتحديات الممكن أن تتعرض لها في المستقبل المنظور. وكان أحد أبرز الهيئات المكلفة بذلك، "هيئة التقديرات في البنتاجون", وهي مجموعة تخطيط استراتيجي أشرف عليها اللواء روبرت إيفاني رئيس كلية الحرب التابعة للبنتاجون. وقد خلصت الهيئة إلى تقدير موقف يقول بالنص: "إننا نستطيع أن نفترض أن أعداءنا أو خصومنا في المستقبل تلقوا وفهموا الدرس من حرب الخليج (عاصفة الصحراء). ولذلك فليس من المتوقع أن يحاول طرف منهم مواجهتنا في حرب تقليدية تعتمد على تشكيلات الدبابات والقوات الجوية والبحرية،

ذلك أن النظر إلى هذه الميادين كلها يُظهر تفوقاً ساحقاً في موازين القوة لصالح الولايات المتحدة، ويترتب على ذلك أن من يريد مواجهتنا من الخصوم عليه أن يكشف وسائل جديدة تمكنه من تهديد مصالحنا أو قواتنا أو مواطنينا، وعليه أن يتأكد أن هذه الوسائل تستطيع أن تحقق له ميزات ينفذ بواسطتها إلى مواقع ضعف تكون عندنا". ويعود إلى اللواء هنري شلتون رئيس هيئة أركان القوات المشتركة الأمريكية، إطلاق صفة "الحرب اللامتماثلة" على هذه التحديات والأخطار، وقدم تعريفه لهذه الحرب بأنها محاولة طرف يعادي الولايات المتحدة أن يلتف من حول قوتها ويستغل نقط ضعفها، معتمداً في ذلك على وسائل تختلف بطريقة كاملة عن نوع العمليات التي يمكن توقعها. وعدم التوازي، يعني اسخدام طاقة الحرب النفسية وما يصاحبها من شحنات الصدمة والعجز لكي ينتزع في يده زمام المبادرة وحرية الحركة والإرادة، وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة، وتكتيكات غير تقليدية، وأسلحة وتكنولوجيات جرى التوصل إليها بالتفكير في غير المتوقع، ثم تطبيقه على مستويات الحرب، من الإستراتيجية إلى التخطيط، إلى العمليات طارحاً نفسه عملياً في التقديرات التي نستطيع تصورها". وهكذا أضاف العقل العسكري الأمريكي إلى نمط الحرب المعتادة " اللامتماثلة" بصيغها المتنوعة, الحرب الكلاسيكية أو حرب العصابات، نمط جديد من الحروب اللامتماثلة" أو حرب اللاعنف أو التغيير السلمي بالوكالة. وجميعها يطلق عليها مصطلح "الحرب العالمية الرابعة"والاسم الشائع حروب الجيل الرابع.

وهذا على اعتبار أن الحرب الباردة هي الحرب العالمية الثالثة والتي انتهت بهزيمة المعسكر الإشتراكي، وهو القول الذي يردده المحافظون الجدد. غير أن الحرب العالمية الرابعة هي الحرب التي تخوضها النزعة النيوليبرالية المتوحشة، ضد شعوب ومصالح دول الجنوب، في حين يعتبر المحافظون الجدد أن الحرب العالمية الرابعة ليست سوى الحرب التي تخوضها أمريكا ضد الإرهاب وتحقيق قيمها(الديمقراطية الليبرالية والحرية..إلخ)، ويبدو ذلك جلياً في مقال إليوكوهين في مجلة "كومانتري" الناطقة بلسان المحافظين الجدد بعددها الصادر في 2001، الذي دعا فيه المسؤولين الأمريكيين إلى ضرورة التخلي عن مفهوم الحرب العالمية، على الإرهاب واستبداله بمفهوم الحرب العالمية الرابعة، وقد رأى في ذلك التعديل الإصطلاحي حاجة إستراتيجية. ولاشك أن هذا الاستبدال يحمل في طياته دلالات واضحة. إذ ترمي إلى تأكيد المكاسب الإستراتيجية التي تريد أن تجنيها الولايات المتحدة، وهي:

1- امريكا التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية على النازية وانتصرت في الحرب العالمية الثالثة على الشيوعية، يمكنها أن تنتصر أيضاً في الحرب العالمية الرابعة على الإرهاب وتحقيق قيمها.

2- أمريكا التي قادت المعسكر الغربي خلال حكم روزفلت إلى الإنتصار في الحرب العالمية الثانية، وقادته خلال حكم ريجان إلى الإنتصار في الحرب العالمية الثالثة، بإمكانها أن تقود "عالم الليبرالية الأمريكية"مرة أخرى للإنتصار في الحرب العالمية الرابعة!

3-إذا كانت الحرب العالمية الثالثة قد استمرت لما يناهز نصف قرن من الزمن، فعلينا أن نستعد لحرب عالمية رابعة قد تستغرق أكثر من ذلك، بل قد تستغرق الحرب أكثر من مائة عام بحسب التصور الألفي للأصوليات الأمريكية.

4-من أجل الإنتصار في الحرب العالمية الرابعة، وكما كان الشأن خلال الحروب السابقة، فإن مسألة الزعامة الأمريكية يجب ألا تكون موضع خلاف.

من الواضح أن مفهوم الحرب العالمية الرابعة,يهدف إلى الترويج لقصور يفيد وجود نوع من الإستمرارية في مسار الإنتصارات الأمريكية خلال الحروب العالمية السابقة.

الصينيون يطلقون على نمط الحرب اللامتماثلة اسم "الحرب غير المقيدة". وهناك كتاب وضعه ضباط صينيون يحمل ذات العنوان. تضمن جملة إرشادات للرئيس الصربي سلوبودان ميلوزوفيتش حول كيفية مواجهته لقوات الناتو، دعوه فيه إلى مواجهة عمليات الناتو، بأسلوب الإقتراب غير المباشر باعتباره التعبير الأكثر ملاءمة للعمليات العسكرية في حالة الحرب اللامتماثلة. إذ بحسب اعتقاد الضباط الصينيين، سيمنح هذا الأسلوب الصرب قوة عبر هجمات "إرهابية" على منظمة الناتو والولايات المتحدة تطال مصالحها في إيطاليا. أي الخروج عن قيم الحرب التي وضعها الغرب من أجل الوقوف ضد قوته. وهكذا فالحرب اللامتماثلة تنطوي على مترادفات,الحرب العالمية الرابعة، الحرب غير المقيدة, الحرب اللامتناظرة، الحرب غير المتوازية.

وخصائص وملامح الحرب اللامتماثلة:

1-ليس هناك ميدان يتقابل فيه المتحاربون أمام بعضهم مواجهة أو بالإلتفاف.

2- "السلاح"ليس"متماثل"حتى وإن اختلفت درجات قوته.

3- ليست هناك صلة بين فعل ورد فعل تجري ممارسته على ساحة معينة يدور فوقها اتصال.

4- يترتب على ذلك أن حفظ السلاح وفعل السلاح هنا خارج حساب أي تصور يمكن توقعه. ورغم أن الحشد وسرعة الحركة والمفاجأة أساليب مطلوبة في كل أنواع الحروب, إلا أنها في حالة الحرب اللامتماثلة، مطلوبة أكثر لأنها لازمة لمدرسة التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه مما لا يحكمه قيد أو أحد، لأنه يبدو تفكير يوسوس به الهذيان والجنون ولا يؤدي إليه العلم أو توازن القوة مهما كانت دقة حساباته".

5- هذا النوع من الحرب ليس مقيداً بمذاهب في الحرب مصنفة، إنما هو يلتقط الرسائل التي يفكر فيها بمصادفات الظروف، لكنه عندما يقابلها بالمصادفة يدرسها بعناية، مما يجعل التنبؤ المسبق بأعماله مهمة شاقة وعسيرة.

6- هذا النوع من الحرب جاهز بطبيعته لأعلى درجات المخاطرة لأن الخسارة بالنسبة إليه في الحالتين واحدة، وبالتالي فإن أعلى المخاطر تتساوى عنده مع أقلها.

7- هذا النوع من الحرب يمارس دورة بخلطة مزيج قوي المفعول بين ما هو "مادي" وما هو "نفسي"، وذلك أكثر ما يخدمه في الأساليب " اللامتماثلة" التي يستعملها.

8-يمتاز الخصم في هذه الحرب بروح معنوية عالية لدى أفراده وتكنولوجيا متقدمة في عملياته، واستعداده لأقصى المخاطر بجعل ما لا يجوز التفكير فيه وارداً كما يجعله ممكناً حتى ولو كان في المقاييس الطبيعية من ضروب الجنون.

9-تقتضي هذه الحرب "إرادة قوية" و"تنظيماً جديداً" و"صبراً" يراقب على مهل، لأنه ليس رد فعل يتحتم عليه (لدواع كثيرة)، أن يواجه فعلاً حيث يتوقع الطرف الآخر أن يجيء زماناً ومكاناً

10- الخصم لا يقوم بعملية "اضرب واهرب" كما في حروب العصابات، فهو موجود داخل المجتمعات، وربما يقوم بأدوار مختلفة، أي أنه ضمن تشكيل المؤسسات وبالتالي فإن أهدافه حساسة ولا متناهية، وفي الوقت نفسه لا يمكن إصابته بشكل مباشر لأنه يبقى ضمن النظام الإجتماعي قبل تنفيذه لأي عمل، أو حتى بعد التنفيذ، وبهذا الشكل يمكن اعتبار الخصم جزءاً منك طوال فترة الصراع اللامتماثل.

11- الحرب اللامتماثلة هي حرب ممتدة. إذ لا يمكن القضاء على الخصم بشكل نهائي. وبالتالي هي سلسلة من الجولات والجهد المتواصل والرقابة في محاولة للحد من عمليات التحول تجاه الإرهاب بدون أن يوجد ضمان أكيد لنهايتها طالما أنها تقوم على عدم التماثل.أي أنها تقوم على مبدأ خصب لإظهار العدو ولتأكيد الذات من قبل الخصوم اللامتماثلين. وتشكل حرب المعلومات واحدة من أهم مرتكزات إستراتيجية الحرب اللامتماثلة. والبعد المعلوماتي في الصراع خاصية مشتركة بين أنماط الحروب، لا يقتصر فقط على الحرب اللامتماثلة. وقد أصبح هذا البعد حاضرا منذ أن أوجدت الثورة المعلوماتية ما يسمى بالمجال المعلوماتي العالمي الموحد. وحول خطورة هذا البعد في الصراع نشير إلى حجم الضرر الذي قد يلحق باقتصاد البلد، جراء حدوث خلل جوهري في الأداء الوظيفي في كافة التنظيمات القيادية الحكومية والمؤسسات المالية والمصرفية. ضرر يمكن مقارنته من حيث العواقب باستخدام السلاح النووي، الأمر الذي يؤدي إلى نتائج كارثية في بعض الحالات على مستوى حياة السكان. قد يؤدي بدوره إلى الإستياء العام والثورة الإجتماعية، وسقوط الدولة أحياناً، وغالباً ما يترافق ذلك مع وقوع

ضحايا بشرية. فالخسارة في المجابهة المعلوماتية يمكن أن تشكل ظروف ومقدمات ليصبح فيها البلد الخاسر متخلف عن ركب الدول ,ليتحول إلى بلد هامشي. بعبارة أخرى يحصل المنتصر على إمكانات غير محددة للتحكم بالدول المهزومة في الصراع. وحرب المعلومات يمكن أن تستخدم في ثلاثة مستويات:

1- يستهدف الفرد, وفق هذا المستوى فإن أي فرد مذنب حتى تثبت براءته (وذلك بعكس القاعدة الحقوقية السائدة)، وفي هذا المستوى تكون أسرار الأشخاص غير محمية، وكذلك الاسماء والرموز التي تمارس بشكل اعتيادي، تصبح مجال متاجرة. وبهذا الشكل عند نشوب نزاع لا شيء يمنع الخصم من تهديد أي من الجنود في المعركة، عبر استهداف عائلاتهم، مستخدماً محتويات الحواسب والمعلومات التي توفرها لتنفيذ اعتداءات.

2- تشمل حرب المعلومات من خلال التجسس الصناعي والاقتصادي على الدول والمنظمات غير الحكومية. ووفقاً لمعلومات مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية هناك (122) بلداً يمارس تجسساً مستمراً على الولايات المتحدة في المجال الصناعي والإقتصادي، وتقدر الخسائر الناجمة عن هذا الموضوع بـ(300) مليار دولار سنوياً.

3- حرب معلومات موجهة من أمة ضد أمة، ويمكن أن يتضمن التجسس على المجموعات المنظمة في إطار الحكومات، أو مجموعات الحرس الوطني، أو التشكيلات "الإرهابية" التي تمتلك نفس أدوات الحكومة.

والولايات المتحدة بدأت بدراسة قضية تحضير وتنفيذ حرب المعلومات في بداية التسعينات. بهدف التأثير المركب على منظومة القيادة الحكومية والعسكرية للطرف المقاوم وعلى قيادته السياسية والعسكرية، بحيث يؤدي هذا التأثير زمن السلم إلى اتخاذ القرارات الملائمة لأمريكا بحيث لا يسبب خلال سير المعارك شلل كامل لبنية قيادة القوات". وإذا كانت حروب احتلال أفغانستان عام 2001، واحتلال العراق عام 2003 هي أولى حروب القرن الحادي والعشرين، من نمط الحروب اللامتماثلة. فإن أفضل من أبدع في ترجمة مفاهيم هذه الحرب على أرض الواقع هو اللواء دافيد بترايوس القائد السابق للقيادة المركزية الأمريكية،ومدير وكالة المخبارات المركزية الأمريكية(CIA)- 2011. وكان من جراء ذلك أن شهدت العقيدة العسكرية الأمريكية معه تحولاً جذرياً من "عقيدة الصدمة والترويع "إلى عقيدة بترايوس. بعد ما ظهرت نقائص العقيدة الأولى، حين أغفلت التفكير في حرب اليوم التالي، أو حروب ما بعد الحرب الباردة اللامتماثلة، التي لا تنفع معها قوة نيران ولا سيطرة مطلقة على الجو والبر والبحر، لأنها حروب استنزاف طويلة الأمد تقاتل خلالها "أشباحاً" لا جيوشاً نظامية، تعتمد تكتيكات لا علاقة لها بالحروب التقليدية. وأطلق اللواء ديفيد بترايوس على عقيدته إستراتجية أفعى

"الأناكوندا". وهي على ما يبدو استعادة لما كتبه الفرنسي ديفيد جالولا. في مؤلفه: "مقاومة التمرد: النظرية والتطبيق" وذلك بعد تطويعه لواقع العراق وأفغانستان وتوظيف إمكانات الولايات المتحدة الهائلة من دعم لوجستي وتقني متقدم وما توفره الثورة المعلوماتية من إمكانات، حتى أنه (بترايوس) ألزم كل فريق عمله وضباطه بالإطلاع عليه والنهل من تعاليمه.

وتقوم إستراتيجية بترايوس على خنق حركة" التمرد" وذلك باعتماد مقاربة شاملة تجفف مصادرها وتقطع خطوط دعمها اللوجستي وتُصفي قادتها وتعزل العناصر "المتشددة من المتمردين "عمن يمكن تأليف قلوبهم وعقولهم واستيعابهم. والأفكار الكبرى، حول العيش بين السكان وكسب قلوبهم وعقولهم فرضت نفسها وأدت إلى اعتماد مناهج تدريب جديدة ". غني عن البيان أن إستراتيجية بترايوس تحتوي على ثلاثة عناصر, هجومية ودفاعية وتثبيت الموقف، تتوقف ثلاثتها على مدى كسب ود الأهالي ومشاركتهم، حتى أنه أوصى بوضع ملصق لضباطه كتب عليه "ماذا فعلت اليوم لكسب قلوب المواطنين؟ "ثم على الواقع والساحة والإمكانات والمهمة. ويؤكد بترايوس في إستراتيجيته على مسألة الشرعية كهدف أساسي، لأن وجود حكومة محلية ستسفه ما تعلنه حركة "التمرد". وعلى تضافر الجهود والتجديف بتوحيد الخطاب وإن اختلفت الأهداف، تغليب العملية السياسية على العمليات العسكرية التي يجب أن تراعي المضاعفات، تفهم وتأقلم القوات المكافحة للتمرد مع مسرح الأحداث، لأن معرفة طبيعة المجتمع وثقافته وأدق تفاصيل تركيبته الإثنية والدينية والأيديولوجية عوامل حاسمة ومهمة، جمع المعلومات الميدانية وكل مايتعلق بحركة التمرد. وبدون عملاء تظل العمليات مضيعة للوقت ومصدر نتائج معاكسة، العمل على عزل "المتمردين" عن مجتمعهم وتسفيه قضيتهم وقطع مصادر دعمهم لا قتلهم وجعلهم أبطالاً، المسألة الأمنية كحجر الزاوية لتأليف قلوب الأهالي وتجريم المتمردين، التعجيل بتكليف قوات محلية من الشرطة وغيرها لتتولى بنفسها تلك المهام وكسر الحاجز النفسي، إعداد القوات وتحضيرها نفسياً لتقبل استراتيجياً نفس طويل وقادر على التدمير والإعمار في الوقت ذاته. ويجب استثمار المعلومات وسبرها وخلق تطلعات معقولة، لأن الشعوب "مصابة بعقدة الصعود إلى القمر" لذلك يطالب بتحقيق الصعاب وفي أسرع وقت! "ليحذر بعدها من مغبة السقوط في امتحان الوعود غير المحقة التي تدفع الأهالي إلى حضن المقاومة من جديد"، استعمال "معقول" للقوة بتحقيق المعادلة الصعبة بين حفظ أمن القوات والتخفيف من عدد قتلى الأهالي موصياً بضرورة تكيف القوات المحلية على المهام الصعبة، القدرة على التأقلم والتكيف مع المحيط.

دور المعرفة في تدويل التفكير المخالف

نشأت الحركات والتنظيمات المهتمة بتنميط العالم ككل او توحيده منذ 2000 عام على الاقل.وهناك افكار عن الصلة بين العالمي والخاص كانت محورية بالنسبة لكل الحضارات الكبري،حتي ما عرف بالسلسلة العالمية- المحلية او السلسلة المحلية – العالمية كان قد طُرح منذ القرن الثاني قبل الميلاد حين كتب بوليبيوس في كتابه التاريخ العام "فيما مضي لم يكن للاشياء التي حدثت في العالم صلة ببعضها البعض... اما منذ ذلك الوقت فان كل الاحداث مترابطة في حزمة واحدة".لكن لم يتم التفكير واقعيا في ان البشرية تتجه نحو التحول إلى مجتمع واحد الا في العصور الحديثة نسبيا.

العالم كان من الممكن ان يصبح نسق واحد تقريباً وعبر مسارات غير تلك التي اتخذت،كاستخدام الجيوش وتكاليف حروب العالم فيما يفيد البشرية.من خلال دول كبرى لدولة واحدة او تحالف كبير بين اسرتين حاكمتين او دولتين او اكثر او بالانتصار العالمي لأحد اشكال الدين المنظم او بتبلور"الروح العالمية" او تمخض النزعة القومية عن مثال التجارة الحرة او بنجاح الحركة الفيدرالية العالمية او بطرق اخري.

وبالتوافق مع الظروف المعاصرة هذه الاحتمالات يتساوي في القدم مع تاريخ العالم نفسه باي معني واسهم في نشاة العالم الواحد.وقيام امبراطورية كبيرة توحد اقاليم وكيانات اجتماعية تحت لواءها في فترة تاريخية ما يعني السير في اتجاه وحدة العالم.وبالمثل اي اتجاهات مضادة تعني السير في عكس ذلك كتفكك الدول الاسلامية والجمهورية العربية المتحدة وأوروبا في العصور الوسطي.لكن للاسف نشات الدولة الاقليمية ساعد على دفع الامبريالية قدماً ومعها تصورات عن العالم ككل.ولو ظهر نمط مختلف عن الحربين العالميتين الاولي والثانية في وقت اي منهما لظهر معه نمط جديد من السلام.ومشكلة العالم الواحد يمكن ان تصبح اساس لصراعات ايديولوجية وتحليلية في القرن ال21.ووضع خرائط للعالم اجتماعيا وعلميا امر شائع خاصة بعد فترة الستينيات مع انتشار مفاهيم تتعلق بوجود العالم الثالث،واستقطب العالمين الاول (الليبرالي الراسمالي) والثاني (الشيوعي الصناعي النامي) من ناحية اخري. ومنذ تلك الحقبة – وهي بداية مرحلة عولمة القرن-انتشر عدد كبير من الخرائط المختلفة للنسق العالمي للمجتمعات القومية.وكانت في الحقيقة خرائط ايديولوجية متصارعة او علمية لدرجة يمكن القول معها إن لغة خطاب وضع الخرائط يعد عنصر حيوي بالنسبة للثقافة السياسية العالمية،وهو عنصر يدمج الجغرافيا كما في مصطلحات الشمال والغرب،والجنوب والشرق مع الانماط السياسية والاقتصادية والثقافية لوضع الدول على الخريطة العالمية الدولية.وبرزت الدولة القومية او المجتمع القومي منذ حوالي اواسط

القرن ال18،ونتشرت في القرن ال20.وبذلك تجانس الدولة القومية ثقافيا هو بناء من نمط خاص من انماط الحياة.

ويشير علماء الاجتماع(الانثروبيولوجيا) إلى ان كل الافراد يشتركون في بعض السمات مع غيرهم في حين ان كل الافراد يشتركون ايضا في سمات اخري مع بعض الاخرين،ومع ذلك فان كل الافراد لديهم سمات يشترك معهم فيها احد.فالنمط الاساسي ان كل شخص يمكن وصفه بثلاث طرق،وهي الخصائص العالمية للنوع،ومجموعات الخصائص التي تعرف ذلك الشخص كعضو في سلسلة من الجماعات،والخصائص التوفيقية للشخص.

وفي بدايات القرن ال21 يشعر العالم خاصة الشباب بالتناقض بين التحديث والتغريب.والبعض اقترح للخروج من هذا المأذق هو التأكيد على انهما متطابقان.ووجهة النظر هذه تري ان التحديث يتحقق في اسيا وافريقيا بقدر ما تنغمس في التغريب.وهو ما يعني تحويل الثقافة الغربية إلى ثقافة عالمية.وهو ما يشبه الزعم بان الحضارة الغربية هي الوحيدة بين كل الحضارات التي استطاعت بصورة ما ان تتطور من الشكل قبل الحديث إلى الحداثة.وهو المعني الواضح في اغلب الاستشراق كاحد فروع المعرفة.فلما كانت الثقافة الاسلامية والصينية والهندية ثقافات رفيعة ومركبة لم يجهد الغربي نفسه في دراسات طويلة.فلجا لشرعية المحلية،ليس هذا فقط بل افترضو ان هذه الثقافات الشرقية الرفيعة تجمدت تاريخيا وعجزت عن التطور،ولكن لا يمكن تغييرها الا من خارجها. فيمكن تعلم لغات الغرب وتقبل تكنولوجيا الغرب ايضا.ولكني اري ان الثقافات الاخري سيشهد تواجد خاصة الاسلامية،بل سيحاول الغرب التغريب في الشرق وثقافته بشكل عام.اي قبل التكيف تتعدد الثقافات في العالم ومع مرور العقود يحاول الناس في العالم خلال القرن ال21 التكيف مع الحديث قبل ان يتكيفوا معه بالفعل.

جغرافيات العولمة	المتحمسون للعولمة	المشككون فيها	المؤمنون بالتحول
الجغرافيا الاقتصادية	السوق موجودة في كل مكان والشركات العابرة للقوميات قوية.تعوض الشبكات تقسيم المركز-الهامش.لا يضمن النشاط في الدول القومية.التحرير والتقارب	تشكيل تكتلات تجارية.نمو تقسيم المركز-الهامش.يضمن النشاط في الدول القومية.تعكس الشركات العابرة للقوميات الاستراتيجيات القومية.التنظيم والتباعد	تعايش الشبكات والانماط البنيوية.تحكم الدول القومية والشركات العابرة للقارات في الاسواق.اعادة التنظيم والتقارب والتباعد في الوقت نفسه
الجغرافيا السياسية	حكامة عالمية تقودها السوق،الدولة القومية تُعوض بالدول الاقليمية (الطبيعية).تذوب الحدود وتستسلم السلطة العليا للسوق العالمية	اقليمية يقودها المركز.تستسلم السلطا العليا لمجموعات اقليمية مصممة من قبل الدول القومية.ازالة الحدود	حكامة ذات طبقات متعددة في مستويات ثلاثة- مستوي عالمي،وقومي،ومحلي.تبقي الدولة القومية المركزية.التمركز والتردي في نفس الوقت

الجغرافيات الثقافية	حضارة عالمية جديدة.ثقافة استهلاكية متجانسة وسيطرة العلامات التجارية العالمية.تعميم الهويات الثقافية عالمياً	ثقافات متصادمة.كتل حضارية محصنة وهويات ثقافية متمايزة جُعلت نسبية	ثقافات هجينة محلية وعالمية جديدة.امكانية تغيير ثقافي تقدمي.ولكن التغريب يسيطرخلال العقود الاولي من القرن ال21
التنمية/ التفاوت	تحقيق التنمية بالمشاركة في العولمة.حل للفقر بالسوق.لا مفر من التحالف والاندماج	لاتنمية مهددة من قبل التوسع الراسمالي العالمي.نمو التهميش بانتشار السوق	تقدم العولمة التهديدات والفرص للتنمية.التقدم رهن بالتدبير الحذر
الرسالة الاخلاقية	مع العولمة.العولمة حقيقية،وهي قوة جيدة اخلاقيا للتقدم	ضد العولمة في بعض القراءات.العولمة خطاب تذيعه المصالح القوية	تحول العولمة.العولمة حقيقية وتتطلب التنظيم لجعلها اكثر فعالية
البيئة/ الاستدامة	حل للاستدامة من قبل السوق.تسعر السوق البيئة بفعالية وتحل التكنولوجيا الندرة	الاستدامة مهددة من قبل الراسمالية العالمية.انتشار الحداثة والنزعة الاستهلاكية تدفع بالبيئة إلى حدودها القصوي	يمكن الوصول إلى الاستدامة من خلال الفعل السياسي.اصبحت المشاكل والهموم البيئة عالمية.التنظيم من الاعلي والاسفل مطلوب

والعالم بداية من القرن ال21 وحتي القرون القادمة يعطي اولوية للجدة والتغيير والتقدم،بعد ان كان يعطي اولوية في معظمه من القِدم والاستمرارية والتراث،خاصة في مجال السياسة وانظمة الممالك.ورغم ان العالم اقتصاده راسمالي الا ان هذه الراسمالية اخفقت في اكتشاف قدرة الروح الوطنية على تحقيق التماسك.وكثيرا ما تلقي الوطنية المغالاة ورفض المواطن للغرباء والمهاجرين،حتي ان البعض يشير إلى احتمالية تحول الوطنية نفسها إلى عنصرية.

وفي ظل اقتصاد عالمي متعدد القوي تكون دول في القمة ودول اخري في القاع.وهذا ينبع من فكرة ان المتقدم يقود والمتخلف يخدم المتقدم.كما ان وجود مناطق متقدمة واخري متخلفة يساهم في عملياة اللا مساواة في كل شئ ويجعل العالم عبارة عن مركز وهامش.واضمحلال دول قوية كالولايات المتحدة وصعود دول لا بد ان يتقبله الدول نفسها وتعيه لانه تغيير طبيعي وسنة حياتية.اما الانكار فليس الا تعبير عن ضعف القيادة اللحظي.خاصة اذا علمنا ان القوة تسبق علاقات التبادل التجاري.كما ان العلاقات الثقافية تسبق العلاقات السياسية

نظام الدولة الواحدة التي تحكم العالم محصلة للصراع من اجل القوة بين الدول ذات السيادة بدلا من تعددها وتقاسم الحكم والثروة العالميين.العالم يسير نحو عقلانية الثقافة والتقنية مما يؤدي إلى هبوط مشكلات اجتماعية سياسية إلى مرتبة المسائل الفنية التي يتم ايجاد حلول فنية لها.وهذا امر جيد بعد ان سيطر المناخ غير العقلاني

والمضاد للفكر واعتبار الذاتية هي محك الاحكام الثقافية،والتاثير في الذات مقياس للقيمة الجمالية,ولكني اخشي من شيوع العبودية للاشباع الغريزي باعتبار ان الثروة والمتعة متلازمتان.ووجود العقلانية القوي لا يعني زوال الدين فزوله معناه ضياع قوة ربط اجتماعي،وسوف تشهد مناطق كبيرة من العالم عودة قوة الدين لانه من اسبابها الحاجة النفسية وخدمة الجوانب الاجتماعية.و الدين يمثل الجزء العظيم من الوعي الانساني وبحث معرفي عن نموذج للنظام العام للوجود،و الحاجة العاطفية لايجاد طقوس واضفاء قدسية تخلق استجابة للذات،وبالمثل الحاجة الوجودية لمواجهة حقائق عديدة مثل الحياة والموت والاخرة.

ويشهد العالم انتشار عالمي للوعي التكنوقراطي المستمد من سيطرة العلوم التطبيقية.وقد يكون ذلك بداية لنهاية الايديولوجيا.خاصة ان النطاق الثقافي يتحول إلى تابع لتكنولوجيا المعلوماتنفما من اساس غير العقلانية الالية يمكن انتقاد الانسان وتقييمه بها.ومن هنا يمكن ان يكون مجتمع المعلومات مجتمع استعماري ثقافياً.ففي الماضي كان الاحتلال وفي القرن ال20 التبعية وفي عصر المعلوماتية تحريك العالم شعوبه وحكوماته من خلال المعلومات ووسائل الاتصال والاعلام،و جميع هذه الوسائل فوق قوة الدولة الواحدة وعابرة لحدود اقاليم عديدة وليس دولة واحدة.ورغم امكانية وجود ثقافة عالمية الا انه يصعب وجود هوية عالمية.لكن على مر العصور اذا استمرت حضارة ما اكثر من قرنين يمكنها ان تكون هوية عالمية نتيجة لوجود ذكريات مشتركة واحساس بالاستمرارية بين الاجيال.ويمكن وجود هوية عالمية من خلال حضارات تكمل بعضها في تعاقب رغم تغيير القيادة الدولية وهذا يتطلب اتفاق وتوافق.يمكن تطبيقه من خلال الشركات العابرة للقارات او قيادات الراسمالية العالمية كمثال.وللحفاظ على الثقافة المحلية يجب تسييس الثقافة والحشد الشعبي ووضع قواعد واسس عامة للدولة وفق ثقافتها وهويتها التاريخية في الماضي والحاضر والمستقبل ايضا.من هنا تستطيع الدولة مواجهة الحروب الثقافية.ويمكن لكل اقليم ان يكون اسس لثقافة اقليمية ومن ثم هوية مشتركة فيما بعد،ثم يتلوهما نشر الثقافة الاقليمية إلى اقاليم ودول اخري لتسود كثقافة عالمية.ولدي الدول الاسلامية والعربية كافة الامكانيات اذا ركزو في ذلك خاصة ان تاريخهم كان ذو هوية اقليمية وليس ثقافة فقط.وبدلا من الحروب والصراعات والاحتلال والتبعية يجب ان تسود فكرة التنمية والتطور والتعاون والتفاهم الاقتصادي والثقافي..الخ.داخل الدولة المحلية وبين دول العالم.وهذه الفكرة اهم من فكرة السلام بين الدول لانها تتخطاها إلى التنمية والتعاون وليس سلام فقط.كما يجب القضاء على ثقافة الفردية التي اشاعت الانانية والجشع والرفاه المجنون لتحل محلها الجماعية التي تؤدي للتعاون والتواصل والتراحم والاحساس بالذات والاخر.خاصة مع انتشار الثقافة

والاقتصاد والاتصال والمعلومات العابرة للحدود.ومن هنا نجد تعاون ما هو عالمي مع ما هو محلي والعكس.لكن الاخطار التي تواجه البشر في كل دول العالم بسبب الجهل الجسدي والاخلاقي مثل الجنس والكحوليات وفي الحفلات وفي النوادي وفي الطرقات والازقة والسيارات لن تغيب عن عالم المستقبل.وتتفاوت القوانين السلوكية التي تحدد التجارب التجارب التي تحدد التجارب التي يغيب فيها العقل،حسب مدي المشاركة والتواجد في ظروف وممارسات تشكلها:أ- الفئة العمرية،ب- العقدة الجنسية كالجنس اللا اخلاقي/الزنا غير المثمر،ج- الهوية الجنسية كالشذوذ والثنائية،د- المعتقدات الدينية الخاطئة،هـ- الاثنية،و- التصنيف الاجتماعي الاقتصادي اي مستوي التعليم والدخل والايديولوجيا المهنية.

الدين في عالم القرن ال21 ياخذ شكلين الاول اداء المهام الدينية والثاني الدخول في الساحة السياسية والعامة،وهذا الاحتمال-الثاني- اما ان يكون عالمي واما ان نجم عن حركة سياسية عالمية.ولكن الاديان تتجه للخصخصة ونمو للدين بعدد كبير من الاتجاهات عبر نطاق من الاحتمالات الدينية من الزهد والمفرط والمتشدد والليبرالية والاشتراكية..الخ.واري ان تقوم دول العالم المختلفة بوجود خط ديني واضح وصحيح ينبع من مصدر له قدسية لدي المواطنين ولا تعترف اي دولة غيرها بغيره وهذا يدعو إلى اتحادات دينية رئيسية للعالم.خاصة ديانات الاسلام ويقوده الازهر والمسيحية ويقودها اتحاد الكنائس العالمي.